ف.ه ۲ س

عربی ناقص

کتابخانه آستان قدس

عربی ناقص

اسم کتاب مقامات حریری

مصنف قاسم بن علی بن محمد بن عثمان حریری

مؤلف

خطی نسخ ۱۰ سطری کاغذ آهار مهره سکری

چاپی

سال ~~چاپ یا~~ تحریر .... عدد اوراق ۱۰۶

جزء کتب ادبیات شماره خصوصی

شماره عمومی ۱۲۴۶۷ شماره قبض

واقف عباس فخیمی تاریخ وقف ۱۴ مرداد ۱۳۶۲

طول ۲۷ عرض ۱۸ شماره صفحات

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت
كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء
ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك
من معرة اللكن وفضوح الحصر ونستكفي بك الافتتان
باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفي بك الانتصاب
لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات
الى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قائدا

الى الرشد

الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق
ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة
هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وان تسعدنا
بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة
وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في
الفكاهة حتى نأمن حصائد الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة
فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق
بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة اللهم
فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية ولا تضحنا
عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا

اليك

اليك بالمسئلة ونجعنا بالاستكانة لك والمسكنة واسبل
كرمك الجم ومنّك الذي عمّ بضراعة الطلب وبضاعة الامل
ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر
الذي ختمت به النبيين واعليت درجته في عليين وو
صفته في كتابك المبين فقلت وانت اصدق القائلين وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين اللهم
فصل عليه وعلى آله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم
اجمعين انك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير اما بعد

فلقد جرى

جرى ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر
ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها
بديع الزمان وعلامة همذان وعزى الى ابي الفتح الا
سكندري نشأها والى عيسى ابن هشام روايتها وكلاهما
مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته
غنم الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك
الظالع شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن الف بين
الكلمتين ونظم بيتا او بيتين واستقلت من هذا المقام
الذي فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل
وتتبين فيه قيمة المرء في الفضل ويضطر صاحبها الى ان يكون

كحاطب ليل او جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار او اقيل
له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا اعفى من المقالة لبيت
دعوته تلبية المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع
وانشأت على ما اعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على
جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان
ودرره وملح الادب ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات
ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية
واللطائف الادبية والاحاجي النحوية والفتاوي اللغوية
والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية

والاضاحيك

والاضاحيك الملهية مما امليت جميعه على لسان ابي زيد
السروجي واسندت روايته الى الحارث بن همام البصري
وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير سواد
طالبيه ولم اودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين
اسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين
ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري
ابو عذره ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي بان
البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وان المتصدي بعده لانشاء
مقامة ولو اوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته
ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت
النفس قبل التندم ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها
فقلت الفضل للمتقدم وارجو الا اكون في الهداية الذي
ابدته والمورد الذي نورسته كالباحث عن حتفه
بظلفه والجادع مارن انفه بكفه فالحق بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي
ونضح عني المحب المحابي ولا اكاد اخلص من غمز جاهل اوذي
عز متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويند داتها من منا
هو الشرع ومن نقد الاشياء بعين المعقول وامعن النظر

في مباني الاصول نظم هذه المقامات في سلك الافادات
وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات
ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات وانتم رواتها
في وقت من الاوقات ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها
انعقاد الدنيا فاي حرج على من انشاء ملحا للتنبيه
لا للتمويه ونحا بها نحو التهذيب لا الاكاذيب وهل
هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم او هدى الي
صراط مستقيم على اني راض بان احمل الهوى واخلص
منه لا علي ولا ليا وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم
مما يصم واسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه

ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا المؤمل

الا هو عليه توكلت واليه انيب

حدث حارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب

وانأتني المتربة عن الاتراب طوحت بي طوائح الزمن الى

صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الانفاض لا

املك بلغة ولا اجد في جرابي مضغة فطفقت اجوب

طرقاتها مثل الهائم واجول في حوماتها جولان الحائم

وارود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي كريما اخلق

له ديباجتي وابوح اليه بحاجتي او اديبا تفرج رؤيته

غمتي وتروي روايته غلتي حتى ادتني خاتمة المطاف

وهدتني

وهدتني فاتحة الالطاف الى نادٍ رحب محتوٍ على زحام ونحيب

فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرايت في بهرة

الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه اهبة السياحة وله

رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع

الاسماع بزواجر وعظه وقد احاطت به اخلاط الزمر

احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه

لاقتبس من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته

يقول حين خب في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله

ايها السادر في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح

في جهالاته الجانح الى خزعبلاته الام تستمر على غيك

ونتسمّرني مرعى بغيك وحتى م تتنا هى في زهوك ولا

تنتهى عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ

بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك

وانت بمرائى رقيبك وتستخفى من مملوكك وما تخفى خافية

على مليكك اتظنّ ان ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك

او ينقذك مالك حين توبقك اعمالك او يغنى عنك

ندمك اذا زلّت قدمك او يعطف عليك معشرك يوم

يضمّك محشرك هلّا انتجعت محجة اهتدائك وعجّلت

معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك

فهى اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك

الذ اذ لذ غناه

وبالمشيب اعذارك وفى اللحد مقيلك فما قيلك والى الله

مصيرك فمن نصيرك طال ما ايقظك الدهر فتناعست و

جذبك الواعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت

وحصحص لك الحق فتماريت واذكرك الموت فتناسيت وا

مكنك ان تواسى فما اسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر

تعيه وتختار قصرا تعليه على برّ توليه وترغب عن هاد

تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت

الصلات اعلق بقلبك من مواقيت الصلوة ومغالات

الصدقات آثر عندك من موالات الصدقات وصحاف

الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران

أتشرك من تلاوة القرآن تأمرا بالعرف وتنتهك حماه
ويحمي عن النكر ولا يتحاماه وتتزحزح عن الظلم ثم تغشاه
وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد تبًّا
لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه ما يستفيق غراما بها وفرط
صبابه ولو درى لكفاه مما يروم صبابه ثم إنه لبّد عجاجته
وغيّض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت
الجماعة إلى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل
منهم يده في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه فقال اصرف
هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا
وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم

مهيعه

مهيعه ويسرب من يتبعه لكيلا يعرف مربعه قال الحارث
بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت أثره من حيث
لا يراني حتى انتهى إلى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته
ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته
مجاثيا لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما
خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك
فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق إلي
حتى خفت أن يسطو علي فلما أن خبت ناره وتوارى
أواره أنشد لبست الخميصة أبغي الخبيصة وأنشبت
شصي في كل شيصة وصيرت وعظي أحبولة أريغ القنيص

شبر

بها والقنيصة والجانی الدهر حتى ولجت بلطف احتيالی
على الليث عيصة على انني لم اهب صرفه ولا
نبضت لی منه فريصة ولا شرعت بی على مورد تدنيس
عرضی نفس حريصة ولو انصف الدهر فی الحكم لما
ملك الحكم اهل النقيصة ثم قال لی ادن فكل وان شئت
فقم وقل فالتفت الى التلميذ وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع
به الاذى لتخبرنی من ذا فقال هذا ابو زيد السروجی
سراج الغرباء وتاج الادباء فانصرفت من حيث اتيت و
قضيت العجب مما رايت

حكى الحارث بن همام

قال كلفت مذ ميطت عنی التمائم ونيطت بی العمائم بان اغشى

معان

معان الادب وانضی اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون
لی زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج
باقتباسه والطمع فی تقمص لباسه اباحث كل من جل
وقل واستسقی الوبل والطل واتعلل بعسى ولعل فلما حللت
حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ما
شان وزان لقيت بها ابا زيد السروجی يتقلب فی قوالب
الانشاء ويتخبط فی اساليب الاكتساء فيدعی تارة انه من
آل ساسان ويعتزی مرة الى اقيال غسان ويبرز طورا
فی شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء بيد انه مع تلون
حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ود

ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة وادب بارعة

وقدم لأعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس

على علاته ولسعة روايته يصبى الى رؤيته ولخلابة عارضته

يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف بمراده

فتعلقت باهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته

لنفائس صفاته فكنت به اجلو همومي واجتلي زماني

طلق الوجه ملتمع الضيا ارى قربه قربة ومغناه غنية

ورؤيته ريا ومحياه لحيا ولبثنا على ذلك برهة

ينشئ لي كل يوم نزهة ويدرأ عن قلبي شبهة الى

ان جذبت له يد الاملاق كاس الفراق واغراه

علم

عدم العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الا

رفاق الى مفاوز الآفاق ونظم في سلك

الرفاق خفوف رائد الاخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمته وظعن

يقتاد القلب بازمته فما راقني من لاقيت بعد بعده ولا شاقني

من ساقني لوصاله ولا الى نديد لفضله ولا ذو

خلال حاذ مثل خلاله واستسر عني حينا لا اعرف له

عرينا ولا اجد عنه مبينا فلما ابت من غربتي الى منبت شعبتي

حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين

منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على

الجلاس وجلس في اخريات الناس ثم اخذ يبدي ما في وطابه

ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب

الذى تنظر فيه فقال ديوان ابى عبادة المشهود له بالاجادة

فقال له هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته فقال

نعم قوله السريع كانما يبسم عن لولوء منضد او برد او اقاح

فانه ابدع فى التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة

الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت فى غير ضرم

اين انت من البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وانشد لنفسه

الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك عن شنب

يفتر عن لولوء رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن

حبب فاستجاده القوم واستحلاه واستعاده منه واستملاه

واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل حى قائله ام ميت فقال

ايم الله للحق احق ان يتبع وللصدق حقيق بان يستمع انه

يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكان الجماعة ارتابت بتعزيته واتت

تصديقه فتوجس ما هجس فى افكارهم وفطن لما بطن من

استنكارهم وحاذر ان يفرط اليه ذم فقرأ ان بعض

الظن اثم ثم قال يا رواة القريض واساة القول المريض ان

خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء

الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان

يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئى للاختبار

وعرضت حقيبتى على الاعتبار فابتدر احد من حضر وقال

اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله
فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب
وانشد فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت
على العناب بالبرد فلم يكن الا كلمح البصر او هو اقرب
حتى انشد فاغرب سألتها حين زارت نضو برقعها
القاني وايداع سمعي اطيب الخبر فزحزحت شفقا غشى
سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر فحار الحاضرون
لبداهته واعتقدوا ابراهته فلما انس استئناسهم بكلامه
وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال
ودونكم بيتين اخرين وافلت يوم جد البين في حلل سود

سو

سود تعض بنان النادم الحصر فلاح ليل على صبح اقلهما
غصن وضرست البلور بالدرر استثنى القوم فيمه واد
ستغزروا ديمته وحملوا عشرته وجملوا قشرته قال المخبر
بهذه الحكاية فلما رأيت تلهب جذوته وتالق جلوته
امعنت النظر في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فاذا هو
شيخنا السروجي وقد اقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي
بموروده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي
احال صفتك حتى جهلت معرفتك واي شيء شيب
لحيتك حتى انكرت حليتك فانشا يقول
وقع الشوائب شيب والدهر بالناس قلب ان دان يوما

لشخصٍ نفعٌ عندَ ينقلب فلا تثقْ بوميضٍ من برقه فهو خُلَّبُ

واصبر إذا هو أضرى بك الخطوبُ وما على التبر عارٌ

في النار حين يُقلَّبُ ثم نهض مفارقاً موضعه ومستتبعاً

القلوبَ معه — روى الحارث بن همام قال

نظمني وأخداناً لي نادٍ لم يخبْ فيه منادٍ ولا كبا قادح

زنادٍ ولا ذكت نارُ عنادٍ فبينا نحن نتجاذب أطرافَ الأ

ناشيد ونتوارد طُرَفَ الأسانيد إذ وقف بنا شخصٌ

عليه سَمَلٌ وفي مشيته قَزَلٌ فقال يا أخايرَ الذخائر

وبشائرَ العشائر عِموا صباحاً وانعموا اصطباحاً

وانظروا إلى من كان ذا نديٍّ ونَدًى وجِدَةٍ وجَدًى

وعقارٍ

وعقارٍ وقِرًى ومَقارٍ وقِرًى فما زال به قطوبُ الخطوب

وحروبُ الكروب وشررُ شرِّ الحسود وانتيابُ النُّوَب

السُّود حتى صفِرت الراحةُ وقرِعت الساحةُ وغار المنبع

ونبا المربعُ وأقوى المجمعُ وأقضَّ المضجعُ واستحالت الحالُ

وأعول العيالُ وخلت المرابطُ ورحم الغابطُ وأودى الناطقُ

والصامتُ ورثى لنا الحاسدُ والشامتُ وآل بنا الدهرُ

الموقِعُ والفقرُ المدقِعُ إلى أن احتذينا الوجا واغتذينا

الشجا واستبطنّا الجوى وطوينا الأحشاء على الطوى

واكتحلنا السُّهادَ واستوطنّا الوهادَ واستوطأنا القتادَ

وتناسينا الأقتادَ واستطبنا الحَين المجتاحَ واستبطأنا

اليوم المتاح فهل من حرٍّ آسٍ او سمحٍ مواسٍ فوالذي

استخرجني من القبيلة لقد امسيت اخا عيلة لا املك

بيت ليلة قال الحارث بن همام فاويت لمفاقره ولويت

الى استنباط فقره فابرزت له دينارا وقلت له اختبارا

ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال

من غير انتحال اكرم به اصفر راقت صفرته

جوّاب آفاقٍ ترامت سفرته مأثورة سمعته وشهرته

قد اودعت سرّ الغنى اسرته وقارنت نجح المساعي

خطرته وحببت الى الانام غرته كانما من القلوب نقرته

به يصول من حوته صرته وان تفانت او توانت عترته

يا حبّذا نضاره ونضرته وحبّذا مغناته ونصرته كم آمرٍ

به استتبت امرته ومترفٍ لولاه دامت حسرته و

جيش همٍّ هزمته كرّته وبدر تمٍّ انزلته بدرته و

مستشيطٍ تتلظى جمرته اسرّ نجواه فلانت شرّته وكم

اسيرٍ اسلمته اسرته انقذه حتى صفت مسرته وحق

مولى ابده غضارته لولا التقى لقلت جلت قدرته

ثم بسط يده بعدما انشده فقال وانجز حرٌّ

ما وعد وسحّ خالٌ اذا رعد فنبذت الدينار اليه

وقلت خذه غير مأسوف عليه فوضعه في فيه وقال

بارك اللهم فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثناء

فنشأت لي من كلا هاتين نشوة غرام سهلت على ابتياع

اغرام تخرجت ادينار الاخر وقلت هل لك في ان

تذمه ثم تضمه فانشد مرتجلا وشدا عجلا تبا له من

خادع مماذق اصفر ذي الوجهين كالمنافق يبدو

بوصفين لعين الرامق زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوي الحقائق يدعو الى ارتكاب سخط

الخالق لولاه لم تقطع يمين سارق ولا بدت مظلمة

من فاسق ولا اشمأز باخل من طارق ولا شكى

المطول مطل العائق ولا استعيذ من حسود

راشق وشر ما فيه من الخلائق ان ليس يغني

عنك

عنك في المضائق الا اذا فر فرار الآبق واها لمن

لمن يقذفه من حالق ومن اذا ناجاه نجوى الوامق

قال له قول المحق الصادق لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته

بالدينار الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فالقاه في فيه

وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه

وقال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد وان

تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك

فاستقم في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت

باكرام وحييت بين كرام فقلت انا الحارث فكيف

حالك والحوادث قال انقلب في الحالين بؤسي ورخاء
وانقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادّعيت
الفراغ وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذي كان
تجلّى ثم انشد حين ولّى تغاربت لا رغبة في الغرب
ولكن لأقرع باب الفرج والقي حبلي على غاربي واسلك
مسلك من لا يعرج فان لامني القوم قلت اعذروا
فليس على اعرج من حرج. المقامة

اخبر الحارث ابن همام قال ظعنت الى دمياط
عام هياط ومياط وانا يومئذ مرهوب الشذا مرموق
الاخاء اسحب مطارف الثراء واجتلي معارف السراء فرافقت
صحبا

صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا افاويق الوفاق
حتى لاحوا كاسنان المشط في الاستواء وكالنفس
الواحدة في التئام الاهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء
ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا او وردنا
منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعنّ لنا اعمال
الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا
الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا
السرى وملنا الى الكرى صادفنا ارضا مخضلة الربى
معتلة الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما
حلها الخليط وهدأ بها الاطيط والغطيط سمعت

صبيًّا من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك
مع جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل
الوصال لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط
وأودّ الحميم وأفضّل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير وإن
لم يكافِ بالعشير وأستقلّ الجزيل للنزيل وأغمر الزميل
بالجميل وأنزل سميري منزلة أميري وأحلّ أنيسي محلّ
رئيسي وأودع معارفي عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين
مقالي للقالي وأديم تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء باللفاء
وأقنع من الجزاء بأقلّ الأجزاء ولا أتظلّم حين أُظلم ولا أنقم ولو
لدغني الأرقم فقال له صاحبه ويك يا بنيّ إنّما يُضنّ با

بالضنين وينافس في الثمين لكن أنا لا آتي غير المواتي ولا أسم
العاتي بمراعاتي ولا أصافي من يأبى إنصافي ولا أواخي من يلغي
الأواخي ولا أمالي من يخيّب آمالي ولا أبالي بمن صرم حبالي
ولا أداري من جهل مقداري ولا أدع إيعادي للمعادي
ولا أسمح بموساتي لمن يفرح بمساءتي ولا أرى التفاتي
إلى من يشمت بوفاتي ولا أخصّ بحبائي إلّا أحبّائي ولا أستطبّ
لدائي غير أودّائي ولا أملّك خلّتي من لا يسدّ خلّتي ولا أصفي
نيّتي لمن يتمنّى منيّتي ولا أخلص دعائي لمن لا يفعم وعائي
ولا أفرغ ثنائي على من يفرّغ إنائي ومن حكم بأن أبذل
وتخزن وألين وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد

لا والله بل نتوازن في المطال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال

حذو النعال حتى نأمن التغابن وتنكفي التضاغن والا فلم

اعلك وتعلني واقلك وتستقلني واجترح لك وتجرحني

واسرح اليك وتسرحني وكيف يجتلب انصاف بضيم وانى

تشرق شمس مع غيم ومتى اصحب ود بعسف وانى

جرى رضى بخطة خسف ولله ابوك حيث يقول

جزيت من اعلق بي ودّه　　جزاء من يبني على اسّه

وكلت للخل كما كال لي　　على وفاء الكيل او بخسه

ولا اخسره وشر الورى　　من يومه اخسر من امسه

وكل من يطلب عندي جنى　　فما له الا جنى غرسه

لا ابتغي

لا ابتغي الغبن ولا انثني　　بصفقة المغبون في حسه

ولست بالموجب حقا لمن　　لا يوجب الحق على نفسه

ورب مذق الود خال من　　اصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله انني　　اقضي غريمي الدين من جنسه

فاهجر من استغباك هجر القلى　　وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة　　لباس من يرغب عن انسه

ولا ترج الود ممن يرى　　انك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما انفت

الى ان اعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء والحف الجو الضياء

غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب

وجعلتُ أستقري كلَّ صوبٍ لصوتِ الليلى وأتوسّمُ الوجوهَ
بالنظرِ الجلي إلى أن لمحتُ أبا زيدٍ وابنَه يتحادثانِ وعليهما
بُردانِ رثّانِ فعلمتُ أنهما نجيّا ليلتي وصاحبا روايتي فقصدتُ
قصدَ كلِفٍ بدَماثتهما راثٍ لرثاثتهما وأجبتُهما التحوّلَ إلى
رحلي والتحكّمَ في كُثري وقُلّي وطفقتُ أسيرُ بين السيّارة
فضلَهما وأُهزُّ الأعوادَ المثمرةَ لهما إلى أن غمرا
بالنحلانِ واتُّخذا من الخُلّانِ وكنّا بمعرسٍ نتبيّنُ
منه بُنيانَ القُرى وتتنوّرُ نيرانَ القِرى فلما رأى أبو
زيدٍ امتلاءَ كيسِه وانجلاءَ بؤسِه قال لي إنّ بدني قد
اتّسخ ودرني قد رسخ أفتأذنُ لي في قصدِ قريةٍ لأستحمَّ
وأقضي

وأقضي هذا المهمَّ فقلتُ إذا شئتَ فالسرعةَ السرعةَ
والرجعةَ الرجعةَ فقال ستجدُ مطلعي عليك أسرعَ من
ارتدادِ طرفِك إليك ثمّ استنَّ استنانَ الجوادِ في المضمار
وقال لابنه بدارِ بدارِ ولم نخلْ أنه غرّ وطلبَ الفرَّ فلبثنا
نرقبُه رقبةَ أهلّةِ الأعيادِ ونستطلعُه بالطلائعِ والروّادِ
إلى أن هرمَ النهارُ وكاد جُرفُ اليومِ ينهارُ
فلما طال أمدُ الانتظارِ ولاحت الشمسُ في الأطمارِ
قلتُ لأصحابي قد تناهينا في المهلةِ وتمادينا في الرحلةِ
إلى أن أضعنا الزمانَ وبانَ أنّ الرجلَ مانَ فتأهّبوا للظعنِ
ولا تلووا على خضراءِ الدِّمنِ ونهضتُ لأحدجَ راحلتي

أي لا تعطفوا على الطائر نحوه ولا تميلوا إلى من لا صدق عهده وهذا أشدّ ذلك لأنّ ما ينبت في الدمن وإن كان ناضرًا لا يكون مثمرًا وأصله من قوله ... إيّاكم وخضراءَ الدِّمن قيل وما ذاك يا رسول الله قال المرأة الحسناء في منبت السوء شبّهها بالبقلة النابتة في الدمنة ...

والجمل لرحلتي فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب
يا من غدا لي ساعداً ومساعداً دون البشر لا تحسبن
اني نأيت عن ملالٍ او أشر لكنني مذ لم أزل
ممن اذا طعم انتشر قال فاقرأت الجماعة القتب
ليعذره من كان عتب فأعجبوا بمخارقته وتعوّذوا
من آفته ثم انا ظعنّا ولم ندر من اعتاض عنّا
حكى
الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلةٍ اديمها
ذو لونين وقمرها كتعويذٍ من لجين مع رفقةٍ غذوا
بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان وما

وما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق
اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان غرب القمر وغلب
السهر فلما روّق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا
من الباب نبأة مستنبحٍ ثم تلتها صكّة مستفتحٍ فقلنا
من الملمّ في الليل المدلهمّ فقال يا اهل ذا المغنى
وُقيتم شرّاً ولا لقيتم ما بقيتم ضرّاً قد دفع الليل
الذي اكفهرّ الى ذراكم شعثاً مغبرّاً اخا
سفارٍ طال واسبطرّ حتى انثنى محقوقفاً مصفرّاً
مثل هلال الافق حين افترّ وقد عرا فناءكم معترّاً
وأمّكم دون الانام طرّاً يبغي قرىً منكم ومستقرّاً

قد دونكم ضيفاً قنوعاً حرا   يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني عنكم ينث البر   قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة

نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه

بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال

الضيف والذي أحلني ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا

لي ألا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا فرب أكلة

هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الأضياف من سام

التكليف وآذى المضيف وخصوصاً أذى يعتلق

بالأجسام ويفضي إلى الأسقام وما قيل في المثل

الذي سار سائره خير العشاء سوافره إلا ليعجل

التعشي

التعشي وتجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهم إلا أن تتقد

نار الجوع وتحول دون الهجوع قال الحارث بن همام

فكأنه اطلع على إرادتنا فرمانا عن قوس عقيدتنا لا جرم

أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر

الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج تأملته فإذا هو أبو

زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد

فإن يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر

بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة من مآقيهم

ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وعادوا إلى نشر الفكاهة

بعد ما طووها وأبو زيد مكب على إعمال يديه حتى إذا استرفع

ما لديه قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك او عجيبة

من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم

يره الراؤون ولتوت من الغرائب ما لم يروه الراوون

وان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيري

الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال

ان مرامي الغربة لفظتني الى هذه التربة وانا ذو مجاعة

وبؤسى وجراب كفؤاد ام موسى فنهضت حين سجى

الدجى على ما بي من الوجى لارتاد مضيفا او اقتات ر

غيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى ابا

العجب الى ان وقفت على باب دار فقلت على بدار

حييتم

حييتم يا اهل هذا المنزل وعشتم في خفض عيش خضل

ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى خابط ليل اليل

جوي الحشا على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم

مأكل ولا له في ارضكم من موئل وقد دجى

جنح الظلام المسبل وهو من الحيرة في تململ فهل

بهذا الربع عذب المنهل يقول لي الق عصاك وادخل

وابشر ببشر وقرى معجل قال فبرز الي جؤذر

وعليه شوذر وقال وحرمة الشيخ الذي سن القرى الذي

واسس المحجوج في ام القرى ما عندنا لطارق اذا عرا

سوى الحديث والمناخ في الذرى وكيف يقري من

نفى عنه الكرى طوى برى اعظمه لما انبرى

فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت له ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن

يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد

ومنشأي فيد ووردت الى هذه المدرة امس مع

اخوالي من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا عشت

ونعشت فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة

انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج

وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على

ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف احي

هو

هو فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعلمت

بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه

صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع

مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا

العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها

في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير

مثلها في الآفاق فاحضرنا الدواة واساودها

ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن

مرتآه في استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف على

تبني فقال فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال

الفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نضاه وهل

تحتقر قدره الا مصاب قال الراوي فالتزم كل

منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع وا

ستنفد في الثناء الوسع حتى اننا استطلنا القول وا

ستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي السمر ما ازرى

بالحبر الى ان اظل التنوير وجشر الصبح المنير وفضنا

ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها سعودها

الى ان انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر

طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات و

نستنض الاحالات فقد استطارت صدوع كبدي

من الحنين

من الحنين الى ولدي فوصلت جناحه حتى سنت نجاح فين

احرز العين في صرته برقتا سادير مسرته وقال لي اجزيت

خيرا عن خطا قدميك والله خليفتي عليك فقلت اريد

ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب وانا فيك بحيب فنظر

الي نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت

مقلتاه بالدموع ثم انشد يا من تظني

السراب ماء لما رويت الذي رويت ما خلت ان يستسر

مكري وان يخيل الذي عنيت والله ما برة بعرسي

ولا لي ابن به اكتنيت وانما لي فنون سحر ابدعت

وما اقتديت لم يحكها الاصمعي فيما حكى ولا حاكها

الكُمَيتُ تخذتُها وُصلةً الَيها تجنيه كي متى اشتهيتُ

وَلو تعافيتُها لحالت حالي وَلم اَحوِ ما حويتُ فهل العذرُ

او تسامحُ ان كنتُ اجرمتُ وجنيتُ ثم انه ودّع

ومضى واَودعَ قلبي جمر الغضا

روى الحارث بن همام قال حضرتُ ديوان النظر بالمراغة

وقد جرى به ذكر البلاغة فاَجمع من حضر من فرسان

اليراعة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشاء

ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع

طريقةً غراء او يفترع رسالةً عذراء وان المفلق

من كتاب

من كُتّاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كا

لعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان

وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية

عند موافق الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم

ونثروا العجوة والنخوة من نوطهم ينبئ تخازر طرفه

وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع

ونابض يبري النبال ومرتقب يبغي النضال فلما نثلت

الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف النازع

امثل الجماعة وقال لقد جئتم شيئا اداً وجرتم عن القصد

جداً وعظمتم العظام الرفات وافتنتم في الميل الى

من فات وغمضت جيلكم الذين فيهم تمت لكم اللذات وبهم
انعقدت المودات ءأنسيتم يا جهابذة النقد وموابذة
الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع
على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة
والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء
اذا انعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة والموارد المطروقة
الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم
القادر على الوارد واني لأعرف الان من اذا انشأ
وشى واذا عبر حبر وان اسهب ذهب واذا
اوجز اعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال

له ناظورة الديوان وعين اولئك الاعيان
من قارع هذه الصفات وقريع هذه الصفات فقال
الله قرن جمالك وقرن جدالك واذا شئت فروض
نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له هذا ان
البغاث بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة
والفضة متيسر وقل من استهدف للنضال فخلص
من الداء العضال او استثار نقع الامتحان فلم يتجرد
بالامتهان فلا تعرض عرضك للفاضح ولا تعرض
عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه
وسيفري الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما

يُسَرُّ به قلبُه ويُعَدُّ منه بقلبه فقال أحدُهم ذَرُوه في
حِصّتي لأرميه بحَجَرٍ يُصمي فإنّها عُضلةُ العُقَدِ ومِحَكُّ
المُنتقِد فقلّدوه في هذا الأمر الزعامةَ تقليدَ الخوارجِ
أبا نعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم أنّي أُوالي هذا
الوالي وأُرفّه حالَه بالبيان الحالي وكنت استغنيتُ
على تقويم أَوَدي في بلدي بسَعَة ذات يدي مع قلّة عَدَدي
فلمّا ثَقُلَ حاذي ونَفِدَ رذاذي أمَّمتُه من أرجاء بلادي
ودعوتُه لإعادة روائي وأراني هَشَّ للوِفادة
وراحَ وغدا بالإفادة وراح فلمّا استأذنتُه في المَراح
إلى المُراح على كاهل المِراح قال قد أزمعتُ ألّا أُزوِّدك
نَباتًا ولا أجمعَ لك شَتاتًا أو تُنشئَ أمام ارتحالك رسالةً
تُودِعُها شرحَ حالك حروفُ إحدى كلمتيها يعمّها النَّقطُ
وحروفُ الأخرى لم يُعجَمن قطّ وقد استأنيتُ بياني حَوْلًا
فما حارَ قولًا ولا بَهَتَ بِكرَ سنةٍ فما ازداد إلّا سِنَةً وا
ستعنتُ بقاطبة الكُتّاب فكلٌّ منهم قطّب وتاب
فإن كنتَ صدعتَ عن وصفك باليقين فأْتِ
بآيةٍ إن كنتَ من الصادقين فقال له لقد استسعيتَ
يعبوبًا واستسقيتَ أُسكوبًا وأعطيتَ القوسَ باريها
وأسكنتَ الدارَ بانيها ثمّ فكّر ريثما استجمّ قريحته
واستدرّ لَقحته وقال له ألقِ دواتك وخُذ أداتك

واكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين
واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع
يثب والمحور يجب والحلاحل يضيف والماحل
يجنف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطاء يجي
والمطال يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحق
يجزي والألطاط يجزي واطرح ذي الحرمة يعي
وحرمة بني الآمال نعي وما ضن الأغبن ولا غبن
الأضنين ولا خزن الا شقي ولا قبض راحة تقي
وما فتئ وعدك يفي وآراؤك تشفي وحلمك يغضي
وهلالك يضيئ والآؤك تغني واعداؤك
نتني

تنثني وحسامك يفني وحسودك ينبي ومواصلك يجتني
وبيادحك يقتني وسماحك يغيث وسماؤك تغيث
ودرك يفيض ورددك يغيض ومؤملك شيخ
حكاه ذو غي ولم يبق له اشيء أملك بطن حرصه يثب
ومدحك يجب مهورها يجب وحرامه يخف وآخر
نشف واطواؤه يخدب وملامه يحبب ووادنه
ضعف سهمهم شظف وحصتهم حتف وعمهم نشف
وهو في ضمع يجب وولده يذبب وهم تصيف وكد
نيف لمأمول خيب وأهلك شعب وعلد نيب ولك
تخيب ولم تزغ ودة فيغضب ولا خيب عوده قد

ينقضّ ولا نفث صدره بنفض ولا نشز وصله

ينبعض وما يقضى كرمك تبدّ حرمه فيبض امله بتخفيف

الهِ بنتُ حملك بين عالمه يبعث لا ماطه شحب اعطاء

نشب ومدا واه شحن ومراغاة يهن موصو لا يخفض

وسرور غض ما غشى معهد عنى او خشى وهم غنى

والسلم فلما فرغ من املاء رسالته وحلى في هجاء

البلاغة عن تسائليه اوضنه الجماعة قولا وفعلا واد

سعته حفاوة وطولا ثم سئل من اى الشعوب نجاره

وفي اى الشعاب وجاره فقال غسان اسرتي

الصميمة وسروج تربتي القديمة فالبيت مثل

الشمس

الشمس اشراقا ومنزلة جسيمة والربع كالفردوس

مطيبة ومنزهة وفيه واها لعيش كان لي فيها ولدت

عميمة ايام اسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة

اختال في برد الشباب واجتلي النعم الوسيمة لا اتقي

نوب الزمان ولا حوادثه الملمة فلو ان كربا متلف

من كربي المقيمة او يفتدي عيش مضى لفدته مهجتي الكريمة

فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة تقتاده بره

الصغار الى العظيمة والهضيمة وترى السباع تنوشها

ايدي الضباع المستضيمة والذنب للايام لولا شومها

لم تنب شيمة ولو استقامت كانت الاحوال فيها

مستقيمة ثم ان خبره نمى الى الوالي فملأ فاه باللآلي

وسامه ان ينضوي الى احشائه ويلي ديوان انشائه فكفّه

حسن الحياء وظلفه عن الولاية الاباء قال الراوي

وكنت عرفت شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبّه

على علوّ قدره قبل استنارة بدره فاوحى اليّ بايماض

جفنه الّا اجرّد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج

وفصل فائزا بالفلج شيّعته قاضيا حقّ الرعاية ولاحيا

له على رفض الولاية فاعرض متبسّما وانشد مترنّما

لجوب البلاد مع المتربة احبّ اليّ من المرتبة لانّ

الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبة وما فيهم

من ربّ الصنيع ولا من يشبّ ما ربّته فلا تجد عنك

لموع السراب ولا تأت امرا اذا ما اشتبه فكم حالم سرّه

حلمه وادركه الروع لما انتبه

حكى الحارث بن همام قال ازمعت التشريق

من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك

المدينة او اشهد بها يوم الزينة فلما اظلّ العيد

بفرضه ونفله واجلب بخيله ورجله اتبعت السنّة في لبس

الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم

جمع المصلّى وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ

في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة

واستفاد العجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت
وحبا تحيّة خافت ولمّا فرغ من دعائه اجال خمسه في وعائه
فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ
فناولهنّ عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون
فمن آنست ندى يديه القت ورقة منهن لديه قال
فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب لقد
موقوذا باوجاع واوجال وممنوا بمختال ومحتال ومغتال
وخوّان من الاخوان قال لاقلالي واعمال
من الغم في تضليع اعمال فكم اصلى باذحال
وامحال وترحال وكم اخطر في بال

ولا

ولا اخطر في بالي فليت الدهر لمّا جار اطفالي اطفالي
فلولا ان اشبالي اغلالي واعلالي لما جهزت آمالي الى
آل ولا والي ولا جرّرت اذيالي على مسحب اذلالي
فمحرابي احرى بي وسمالي اسمالي فهل حر يرى تخفيف اثقالي
بمثقال ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال قال الحارث
ابن همام فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى
معرفة ملحمها ودارم علمها فناجاني الفكر بان الوصلة
اليه العجوز وافتاني بان حلوان المعرف يجوز فرصدها
وهي تستقرئ الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف
كفا كفا وما ان نجح لها عناء ولا رشح على يديها

اياءً فلمّا اكدى استنباطها وكدّها مطافها عاذت بالاسير

ومالت الى ارتجاع الرقاع وانساها الشيطان ذكر

دفعتي فلم تعج الى بقعتي وابت الى الشيخ باكية للحرمان

شاكية تحامل الزمان فقال انّا لله وافوّض امري الى الله

ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انشد لم يبق صافٍ

ولا مصافٍ ولا معينٌ ولا معينُ وفي المساوي بدا التساوي

فلا امين ولا ثمين ثم قال لها مني النفس وعديها

واجمعي الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها

فوجدت يد الضياع قد غالت احدى الرقاع فقال

تعسًا لك يا لكاع اتحرم ونحرم القفص والحبالة و

والقبس

والقبس والذبالة انها لضغث على ابالة فانصاعت تنقص

مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة درهمًا

وقطعة وقلت لها ان رغبت في المنقوش المعلم واشرت

الى الدرهم فبوحي بالسر المبهم وان ابيت ان تشرحي

فخذي القطعة واسرحي فمالت الى استخلاص البدر التم

والابلج الاهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك

فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته

فقالت ان الشيخ من اهل سروج وهو الذي وشى

الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق

ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي ان ابا زيد

هو المشار اليه وتأجّج كربي لمصابه بناظريه وآثرتُ ان آتيه

واناجيه لاعجم عود فراستي فيه وما كنت لاصل اليه الا

بتخطي رقاب الجمع المنهيّ عنه في الشرع وعفت ان

يتأذّى بي قوم او يسري اليّ لوم سددتُ بمكاني

جعلت شخصه مدّ عياني الى ان انقضت الخطبة وحقّت

الوثبة فخففت اليه وتوسمته على التمام جفنيه فاذا

فراستي الالمعيّة المعيّة ابن عباس وفراسة اياس فعرفته ح

شخصه وآثرته باحد قميصي واهبت به الى قرص فقبس

لعارفتي وعرفاني ولبّى دعوة رغفاني وانطلق ويدي

زمامه وظلّي امامه والعجوز ثالثة الاثافي والرقيب

الذى

الذى لا يخفى عليه خافي فلما استحلس وكنني واحضرته

عجالة مكنني قال يا حارث امعنا ثالث فقلت ليس الا العجوز

قال ما دونها سرٌّ محجوز ثم فتح كريمتيه وادار انسانيته

فاذا سراجا وجهه يقدان كانهما الفرقدان فابتهجت بسلامة

بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلفني قرار ولا طاوعني

اصطبار حتى سألته ما دعاك الى التعامي مع سيرك في

المعامي وجوبك للموامي وايغالك في المرامي فتظاهر باللكنة

وتشاغل باللهنة حتى اذا قضى وطره اتأر الي نظره

وانشد ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد في انحائه

ومقاصده تعاميت حتى قيل اني اخو عمى ولا غرو ان يحذو

الفتى حذو والده ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني
بغسول يروق الطرف وينقي الكف وينعّم البشرة
ويعطّر النكهة ويشدّ اللثة ويقوّي المعدة وليكن
نظيف الظرف أريج العرف فتيّ الدقّ ناعم السحق
يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا وقرن
به خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل انيقة الشكل
مدعاة الى الأكل لها نحافة الصب وصقال العضب
وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب فنهضت لما
أمر لا درءا عنه الغمر ولم أهم الى انه قصد ان يخدع
بإدخالي المخدع ولا ظننت انه سخر من الرسول في ا

ستدعاء

في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس
في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ و
الشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت
في اثره طلبا فكان كمن قمس في الماء او عرج به الى
عنان السماء

ا خبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان
ان تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان احدهما قد ذهب
منه الأطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ
ايد الله القاضي كما ايد المتقاضي انه كانت لي مملوكة رشيقة القد
أسيلة الخد صبور على الكد تخب أحيانا كالنهد وترقد

اطوارًا في المهد وتجد في تموز مسّ البرد ذات عقلٍ
وعيانٍ وحدٍّ وسنانٍ وكفٍّ وبنانٍ وفمٍ بلا اسنانٍ
تلدغ بلسانٍ نضناضٍ وترفل في ذيلٍ فضفاضٍ وتجلى
في سوادٍ وبياضٍ وتُسقى ولكن من غير حياضٍ ناصحةٌ خدعةٌ
خضراء طلحةٌ مطبوعةٌ على المنفعة مطواعةٌ في الضيق
والسعة اذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت
وطالما خدمتك فجملت وربّما جنت عليك فالمت وملّت
وانّ هذا الفتى استخدمنيها لغرضٍ فاخذتُه اباها
بلا عوضٍ على ان يجتني نفعها ولا يكلّفها الا وسعها
فاولج فيها متاعه واطال بها استمتاعه ثم اعادها وقد

افضاها

وقد افضاها وبذل عنها قيمةً لا ارضاها فقال الحدث
اما الشيخ فاصدق من القطا واما الافضاء ففرط عن خطاء
وقد رهنته على ارشها ميلًا مناسب الطرفين
منتسبًا الى القين نقيًّا من الدرن والشين يفارق محلّه
سواد العين يفشي الاحسان ويُنشئ الاستحسان ويغذي
الانسان ويتحامى اللسان ان سوّد جاد او وسم اجاد
واذا زُوّد وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقرّ
بمغنًى وقلّما ينكح الا مثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده
وينقاد مع قرينه وان لم تكن من طينته ويستمتع بزينته
وان لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي اما ان تبينا

والا فبينا فابتدر الغلام وقال المنسرح أعارني إبرةً لأرفو أ
طمارًا عفاها البلى وسوّدها فانخرمت في يدي على خطأ
مني لما جذبت مقودها فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها
إذ رأى تأوّدها بل قال هات إبرةً تماثلها أو قيمةً بعد أن
تجوّدها واعتاق مِلكي رهنًا لديه وناهيك بها سُبّةً تردّدها
فالعين حرّى لرهنه ويدي تقصر عن فكّ حرّ ودها فاسبر
بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعوّدها فأقبل
القاضي على الشيخ وقال إيهٍ بغير تمويه فقال الشيخ أقسم
بالمشعر الحرام ومن ضمّ من الناسكين خيفُ منى لو ساعفتم
الأيام لم ترى مرتهنًا مثله الذي رهنا ولا تصدّيت

ابتغي

أبتغي بدلًا من إبرةٍ غالها ولا ثمنًا لكن قوس الخطوب ترشقني
بمصمياتٍ من ههنا وهنا وخبر حالي كخبر حالها نضوٌ وبؤسًا
وغربةً وضنى قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيرها في الشقاء وهو
أنا لا هو يستطيع فكّ مرتهنه لما عدى في يدي مرتهنًا ولا أنا
لضيق ذات يدٍ فيه اتساعٌ للعفو حين جنا هذه قصتي وقصته
فانظر إلينا وبيننا فلما وعى القاضي قصصهما وتبيّن خصاصتهما
وتخصصهما أبرز لهما دينارًا من تحت مصلاه وقال اقطعا به
الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه
على وجه الجدّ لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مرتي
وسهمك لي عن أرش إبرتي ولست عن الحق أميل فقم وخذ

المبل فغر الحدث لما حدث اكتئاب وجم له القاضي وهيج اسفه

على الدينار الماضي الا انه جبر بالفتى ولبّا له بدريهمات

رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات

ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده

فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بض

حجره ولا يكده مذ رشح جلده حتى اذا افاق من غشيته

اقبل على غاشيته وقال قد اشربت حسي ونبأني حدسي انهما صاحبا

دهاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما

فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما

الا بهما فقفى قفوهما عونا يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال

لهما

لهما اصدقاني سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم الحدث

واستقال واقدم الشيخ وقال انا السروجي وهذا ولدي والشبل

في المخبر مثل الاسد وما تعدت يده ولا يدي الى ابرة يوما ولا فـ

مرود وانما الدهر المسيء المعتدي مال بنا حتى غدونا نجتدي

كل ندي الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد

وبكل مقصد بالجد ان اجدى والا بالدد لنجتلب الرشح الى الحظ

الصدي وننفد العمر بعيش انكد والموت من بعد لنا بالمرصد

لو لم يفاجي اليوم فاه جا في غدي فقال له القاضي لله درك فما

اعذب نفثات فيك وواهاً لك لولا خداع فيك واني لك

من المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الماكرين

واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل اوان يسمع

القيل فعاهدتُ الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس

صورته وتصل عن جهته والخبر يلمع من جبهته قال الحارث بن

همام فلم ار اعجب منها في تضاعيف الاسفار ولا قرأت مثلها

في تصانيف الاسفار

اخبر الحارث بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب

الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجني الثمار

واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه

العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب اذا

دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه

ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت

هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة

ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح

وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا

عند حاكم الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال

الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية

تعتله امرأة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام به

التراضي اني امرأة من اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة

وعمومة منبسى الصون وشمتى الهون وخلقى لعم العون
وبينى وبين جاراتى بون وكان ابى اذا خطبنى بناة المجد
وارباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم وحتج
بانه عاهد الله تعالى بحلفه ان لا يصاهر غير ذى حرفة فقيض
القدر لوصبى ونصبى ان حضر هذا الخدعة نادى ابى فاقسم
بين رهطه انه وفق شرطه وادعى انه طالما نظم درة الى درة
فباعهما ببدرة فاغتر ابى بزخرف محاله وزوجنيه قبل اختبار
حاله فلما استخرجنى من كناسى ورحلنى عن اناسى ونقلنى الى
كسره وحصلنى تحت اسره وجدته قعدة جثمة والفيته
ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزى واثاث ورى

فما برح

فما برح يبيعه فى سوق الهضم ويتلف ثمنه فى الخضم والقضم
الى ان مزق مالى باسره وانفق مالى فى عسره فلما انسانى
طعم الراحة وغادر بيتى انقى من الراحة قلت له يا هذا
انه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب
بصناعتك واجتن ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت
بالكساد لما ظهر فى الارض من الفساد ولى منه سلالة كانه
خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى
دمعة وقد قدته اليك واحضرته لديك لتعجم عود دعواه
وتحكم بيننا بما اراك الله فاقبل القاضى عليه وقال له قد وعيت
قصص عرسك فبرهن عن نفسك والا كشفت عن لبسك

يحبسك الأطراف أمعون ثم تشمر للحرب العوان وقال السجع حد
فانه عجب يضحك من شرحه ويتعجب انا امرؤ ليس في خصائصه
عيب ولا في نجاره ريب سروج داري التي وليت بها والأصل
غسان حين انتسب وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلاب
وحبذا الطلب ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ
القريض والخطب اغوص في لجة البيان فاختار اللآلي
منها وانتخب واجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا ما صغته قيل انه ذهب وكنت
من قبل امتري نشباً بالأدب المقتني واحتلب ويمتطي اخمص
لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب وطالما زفت الصلات الي
ربعى

ربعى فلم ارض كل من وهب فاليوم من يعلق
الرجاء به اكسد شيء في سوقه الأدب لا عرض ابنائه
يصان ولا يرقب فيهم ال ولا سبب كأنهم في عراصهم
جيف تبعد من نتنها وتجتنب فحار لبي لما منيت به من
الليالي وصرفها عجب وضاق ذرعي لضيق ذات يدي
وساورتني الهموم والكرب وقادني دهري الملم
الى سلوك ما يستشينه الحسب فبعت حتى لم يبق لي
سبد ولا لبانات لبد انقلب وادنت حتى تقلت
سا لفتى يحمل دين من دونه العطب ثم طويت الحشا على
سغب خمسا فلما امضني السغب لم ار الا جهازها

عرضًا احولُ في بيعهِ واطربُ فجلتُ فيه والنفسُ كارهةٌ
والعينُ عبرى والقلبُ مكتئبُ وما تجاوزتُ اذ عبثتُ
به حدَّ التراضي فيحدثُ الغضبُ فان يكن غاضها توهُّمها
انَّ بناني بالنظمِ تكتسبُ او انّني اذ عزمتُ خطبتها
زخرفتُ قولي لينجحَ الأدبُ فو الذي سارتِ الرفاقُ
الى كعبتهِ تستنحثُها النجبُ ما المكرُ بالمحصناتِ من خلقي
ولا شعاري التمويهُ والكذبُ ولا يدي مذ نشأتُ
نيطَ بها الا مواضي اليراعِ والكتبُ بل فكري التي تنظمُ
القلائدَ لا كفّي وشعري المنظومُ لا السخبُ وهذهِ
الحرفةُ المشارُ الى ما كنتُ احوي بها واجتلبُ فاذن

بشرحي كما اذنتَ لها ولا تراقبْ فاحكمْ بما يجبُ قال فلمّا
احكمَ ما شادهُ واكملَ انشادهُ عطفَ القاضي الى الفتاةِ
بعدَ ان شغفَ الالبابَ وقالَ اما انّهُ قد ثبتَ عندَ جميعِ الحكّامِ
وولاةِ الاحكامِ انقراضُ جيلِ الكرامِ وميلُ الايامِ الى
اللئامِ واني لاخالُ بعلكِ صدوقًا في الكلامِ بريًّا من
الملامِ وها هو قد عرّضَ لكِ بالقرضِ وصرّحَ عن
المحضِ وبيّنَ مصداقَ النظمِ وتبيّنَ انّهُ معروقُ
العظمِ واعناتُ المعذرِ ملامةٌ وحبسُ ذي العسرِ
مأثمةٌ وكتمانُ الفقرِ زهادةٌ وانتظارُ الفرجِ بالصبرِ
عبادةٌ فارجعي الى خدركِ واعذري ابا عذركِ

وَلَهَّنِي عَنْ غَرْبِكَ وَسَلَّنِي لِقَضَاءِ دَيْنِكَ ثُمَّ اِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا
فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْضَةً وَقَالَ عَلِّلَا
بِهَذِهِ الْعُلَالَةِ وَتَبَلَّغَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ وَاصْبِرَا عَلَى كَيْدِ
الزَّمَانِ وَكَدِّهِ فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ اَوْ اَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ
فَنَهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرْحَةُ الْمُطْلَقِ مِنَ الْاِسَارِ وَهِزَّةُ الْمُوسِرِ
بَعْدَ الْاِعْسَارِ قَالَ الرَّاوِي وَكُنْتُ عَرَفْتُ اَنَّهُ اَبُو زَيْدٍ
سَاعَةَ بَزَغَتْ شَمْسُهُ وَنَزَغَتْ عِرْسُهُ وَكِدْتُ اُفْصِحُ عَنْ
اِبَائِهِ وَاَثْمَارِ اَفْنَانِهِ ثُمَّ اَشْفَقْتُ مِنْ عُثُورِ الْقَاضِي
عَلَى بُهْتَانِهِ وَتَزْوِيقِ لِسَانِهِ فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ اَنْ يُرَشِّحَهُ
لِاِحْسَانِهِ فَاَحْجَمْتُ عَنِ الْقَوْلِ اِحْجَامَ الْمُرْتَابِ وَطَوَيْتُ
ذِكْرَهُ

ذِكْرَهُ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ اِلَّا اَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَلَ
وَوَصَلَ اِلَى مَا وَصَلَ لَوْ اَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي اَثَرِهِ لَاَتَانَا
بِبَعْضِ خَبَرِهِ وَبِمَا يَنْشُرُ مِنْ حِبَرِهِ فَاَتْبَعَهُ الْقَاضِي اَحَدَ
اُمَنَائِهِ وَاَمَرَهُ بِالتَّجَسُّسِ عَنْ اَنْبَائِهِ فَمَا لَبِثَ اَنْ رَجَعَ
مُدَهْدِهًا وَقَهْقَرَ مُقَهْقِهًا فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي مَهْيَمْ
يَا اَبَا مَرْيَمَ فَقَالَ لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا وَسَمِعْتُ مَا اَنْشَأَ
لِي طَرَبًا فَقَالَ لَهُ مَا ذَا رَأَيْتَ وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ قَالَ
لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُخَالِفُ بَيْنَ
رِجْلَيْهِ وَيُغَرِّدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ وَيَقُولُ كِدْتُ
اَصْلَى بِبَلِيَّةٍ مِنْ وَقَاحٍ شِمَّرِيَّةٍ وَاَزُورُ السِّجْنَ لَوْلَا حَاكِمٌ

منه الاسكندرية فضحك القاضي حتى هوت دنّيّته وذوت

سكينته فلما فاء الى الوقار وعقّب الاستغراب

بالاستغفار وقال اللهم بحرمة عبادك

المقرّبين حرّم حبسي على المتأدّبين ثم قال لذلك

الامين عليّ به فانطلق مُجِدّاً في طلبه ثم عاد بعد

لأيٍ مخبراً بنأيه فقال القاضي اما انه لو حضر

لكُفِيَ الحذر ثم لأوليته ما هو به اولى ولأريته

ان الآخرة خير له من الاولى قال الحارث بن همام

فلما رأيت صغو القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه

غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي لما

استبان

لما استبان النهار

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق

الى الدهشة ما ليس بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا

عزمة مشتعلة فلما القيت بها المراسي وشدّدت مراسي

وبرزت من الحمام بعد ارساء رأيت غلاما افرغ في

قالب الجمال وأُلبس من الحسن حلّة الكمال وقد اعتلق شيخ

بردنه يدّعي انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر

قرفته والخصام بينهما منطار الشرار والزحام

عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى ان تراضيا

بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان

ممن يزنّ بالهنات ويغلب حبّ البنين على البنات فأسرها
الى ندوته كالسليك في عدوته فلما حضراه جدّد
الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام
وقد فتنه بمحاسن غرته وطرّ عقله بتصفيف طرته فقال
انها افيكة أفّاك على غير سفّاك وعضيهة محتال
على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ ان شهد لك
عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين فقال
الشيخ انه جدّله خاليا وأفاح دمه خاليا فأنّى
لي شاهد ولم يكن ثمّ مشاهد ولكن ولّني تلقينه
اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له انت

المالك

المالك لذلك مع وجدك المنهالك على ابنك الهالك
فقال الشيخ للغلام قل والذي زيّن الجباه بالطرر
والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج
والجفون بالسقم والأنوف بالشمم والخدود باللهب
والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف
انني ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته
بالسيف غمدا والا فرمى الله جفني بالعمش وخدّي
بالنمش وطرّتي بالجلح وطلعي بالبلح ووردي بالبهار
ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق
وشعاعي بالإظلام ودواتي بالأقلام فقال الغلام

الاصطلاء بالبلية ولا الابلاء بهذه الالية والانقياد
للقود ولا الحلف بما لم يحلف به احد فابى الشيخ الا
تجرعه اليمين التي اخترعها وامرّ له جرعها ولم يزل
التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعور والغلام
في ضمن تابيه يخلب الوالي بتلويه ويطمعه في ان يلبيه
الى ان ران هواه على قلبه وألّب بلبه وسوّلت له
الوجد الذي تيمه والطمع الذي توهمه ان يخلص
الغلام ويستخلصه وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم
يقتنصه فقال للشيخ هل لك فيما هو اليق بالاولى
واقرب للتقوى [فقال] الامَ تشير لا منقصة [ابتع] ولا افك لك

منه فقال ارى ان تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه
على مائة مثقال لاتحمل منها بعضا واجبي لك الباقي عرضا
فقال الشيخ ما فيه خلاف فلا يكن لوعدك اخلاف
فنقد الوالي عشرين ووزّع على رعيته تكملة
خمسين ورنّق حوقه ثوب الاصيل وانقطع لاجله
صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع عنك
اللجاج وعليّ في غد ان اتوصل الى ان ينضّ لك الباقي
وتحصّل فقال الشيخ اقبل منك على ذلك ان الازمه
ليلي ويرعاه انسان مقلتي حتى اذا اسفر
الصبح بما بقي من مال الصلح تخلصت قائبة من قوب

وترى براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي
ما أراك سمت شططاً ولا رمت فرطاً فقال الحارث بن
همام فلما رأيت حجة الشيخ كالحجة السريجية علمت أنه
علم السروجية فلبثت إلى أن انبثت عقود الزحام
وزهرت نجوم الظلام عقود الزحام ثم قصدت
فناء الوالي فإذا الشيخ للفتى كالي فنشدته الله أهو
أبو زيد فقال إي ومحل الصيد فقلت من هذا
الغلام الذي هفت له الأحلام قال هو في النسب
فرخي وفي المكسب فخي فقلت هلا اكتفيت بمحاسن
فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال
لو لم تبرز

لو لم تبرز جبهته السين لما افترست الحسين ثم قال لي
بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى وندمل الجوى من النوى
فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة وأصلي قلب الوالي
نار حسرة قال فقضيت الليلة معه في سمر ألذ من حديقة
زهر وخميلة شجر حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان
وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق
الوالي عذاب الحريق وسلم إلي ساعة الفراق
رقعة محكمة الإلصاق وقال لا تدفعها إلى الوالي إذا
منه سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل
المتملس من مثل صحيفة المتلمس فإذا فيها مكتوب

قل لوالي غادرته بعد بين نادما ساجما بعض اليدين

سلب الشيخ ما له وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين

جاد بالعين حين اعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين

خفض الحزن يا معنى فما يجدي طلاب الآثار من بعد

عين ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء

الحسين فقد اعتضت عنه فهما وحزما واللبيب

الاريب يبغي دين فاعص من بعدها المطامع واعلم

ان صيد الظباء ليس بحين لا ولا كل طائر يلج الفخ لمصيدة

ولو كان حدقا بالحين فكم من سعى ليصطاد فا

فاصطيد ولم يلق غير حتف حين فتبصر ولا تشم

كل برق رب برق فيه صواعق حين واغضض الطرف

تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين فبلاء

الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فنزفت دمعته شذر مذر ولم ابل اعذل

ام عذر حدثت الحارث بن همام قال انست من قلبي

القساوة حين حللت ساوة فاخذت بالخبر المأثور

في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت الى محلة

الأموات وكفات الرفات رايت جمعا على قبر

يحفر ومجنوز يقبر فانحزت اليهم متفكرا في المآل

ومتذكرا من درج من الآل فلما الحد والمنت وفات

قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصراً بهراوة

وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال

لمثل هذا فليعمل العاملون فادّكروا أيها الغافلون

وشمّروا أيها المقصّرون وأحسنوا النظر أيها المتبصّرون

وقوفكم في صردح عجز عن صفته الواصفون ما لكم

لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب

ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدّون

لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا

تعتبرون بنعي تسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد

ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيّع أحدكم نعش

الميت

از شیخ جنید قدس سره پرسیدند و ما التوحید گفت از مطربی شنیدم که می‌گفت

وغنّى لي من قلبي وغنّيت كما غنّى وكنّا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنّا

الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره

في استخلاص نصيبه ويخلّي بين ودوده ودوده ثم يخلو

بمزاميره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبّة وتنا

سيتم اخترام الأحبّة واستكنتم لاعتراض العسرة وا

ستهنتم بافتراص الأسرة وضحكتم عند الدفن ولا

ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم

يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب

إلى إعداد المآدب وعن تحرّق الثواكل إلى التأنّق

في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون ذكر

الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام

اوَحَصَلتم مِنَ الزّمانِ على امانٍ اَوَ وَثِقتم بِسلامةِ الذات

او تحققتم مسالمةَ هادمِ اللذاتِ كلا ساءَ ما تتوهمون

ثم كلا سوفَ تعلمونَ ثم انشدَ يا مَن يدّعي الفهمَ

الى كم يا اخا الوهم تعبّي الذنب والذمّ وتخطي الخطاءِ

الجمّ اما بانَ لكَ العيبُ اما انذرَكَ الشيب وما

فى نصحِهِ ريبٌ ولا سمعك قد صمّ اما نادى بكَ الموت

اما اسمعكَ الصّوت اما تخشى مِنَ الفوتِ فتحتاط

وتهتمّ فكم تسدرُ فى السّهو وتختال من الزهو و

تنصبّ الى اللهو طباعا جمعت فيكَ عيوبا شملُها

انضمّ اذا اسخطتَ مولاك فما تقلق من ذاكَ وان

اخفق

اخفق مسعاك تلظّيت من الهمّ وان لاح لك النقشُ من

الاصفر تهتشّ وان مرّ بك النعش تغاممتَ ولا غمّ

تعاصي النّاصح البرّ وتعتاص وتزورّ وتنقاد لمن غرّ

ومن مان ومن نمّ وتسعى فى هوى النفس وتحتال

على الفلس وتنسى ظلمةَ الرمس ولا تذكر ما ثمّ

ولو لاحظك الحظُ لما طاح بك اللحظ ولا كنت

اذا الوعظ جلا الاحزان تغتمّ ستذري الدم

لا الدمع اذا عاينت لا جمعُ يقي فى عرصة الجمع ولا

خال ولا عمّ كانى بك تنحطّ الى اللحد وتنغطّ

وقد اسلمك الرهط الى اضيق من سمّ هناك الجسم

ممدود لبيت كله الدود الى ان ينخر العود
ويمسى العظم قد رمّ ومن بعد فلا بدّ
من العرض اذا اعتدّ صراط جسره مدّ
على النار لمن امّ فكم من مرشد ضلّ ومن
ذى عزة ذلّ وكم من عاقل ذلّ وقال
الخطب قد طمّ فبادر ايها الغمر لما
يحلو به المرّ فقد كاد يهى العمر وما
اقلعت عن ذمّ ولا تركن الى الدهر
وان لان وان سرّ فتلفى كمن اغترّ
بافعى تنفث السمّ وخفّض من تراقيك

فانّ

فانّ الموت لاقيك وسار فى تراقيك
وما ينكل ان همّ وجانب صعر الخدّ اذا
ساعدك الجدّ وزمّ اللفظ ان ندّ فما
اسعد من زمّ ونفّس عن اخى البثّ وصدّق
اذا انثّ ورمّ العمل الرثّ فقد افلح من
رمّ وريش من ريشه انحصّ بما عمّ
وما خصّ ولا تأس على النقص ولا
تحرص على اللمّ وعاد لخلق الرذل
وعوّد كفك البذل ولا تسمع العذل
ونزّهها عن الضمّ وزوّد نفسك الخير

ودع ما يعقب الضير وهيّئ زادا
للسير وخف من لجة اليم بذا اوصيك
يا صاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى
راح بآدابي يأتم ثم حسر ردنه عن ساعد
شديد الاسر وقد شد عليه جبائر
المكر لا للكسر متعرضا للاستماحة في معرض
الوقاحة فاحتلب به اولئك الملأ حتى
انتزع كل ما ملأ ثم انحدر من الربوة
جذلان بالحبوة قال الراوي فجاذبته
من ورائه حاشية ردائه فالتفت الي

مستسلما

مستسلما وواجهني متبسما فامعنت النظر في وجهه
فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه ومينه فقلت
له الى كم يا ابا زيد تحتال في الكيد لتجتاب لك
الصيد ولا تعبأ بمن ذم فاجاب من غير استحياء ولا
ارتياء وقال انظر ودع اللوم وقل للجهل قرانا اليوم
فتى لا يفهم القوم متى ما دسته ثم فقلت له
بعدا لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك في
طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا مثل روث
مفضض او كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين
وانطلق ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح

مهبّ الشمال حكى الحارث بن همام قال شخصتُ من
العراق الى الغوطة وانا ذو جُردٍ مربوطة وجِدةٍ
مغبوطةٍ يُلهيني خلوّ الذرع ويزدهيني حفول الضرع
فلما بلغتُها بعد شقّ النفس وانضاء العنس الفيتُها
كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهي الانفس وتلذّ
الاعين فشكرتُ يد النوى وجريتُ طلقَ
الهوى وطفقتُ افضّ بها ختوم الشهوات وا
جتني قطوف اللذّات الى ان شرع سفرٌ في العراق
وقد استفقتُ من الاغراق فعادني عيدٌ من تذكار
الوطن والحنين الى العطن فقوّضتُ خيام الغيبة

واسرجت

واسرجتُ جواد الاوبة ولمّا تاهّب الرفاق واستتبّ الا
تفاق الحناس من السير دون استصحاب الخفير فرودناه
من كلّ قبيلةٍ واعملنا في تحصيله الف حيلةٍ فاعوز
وجدانه في الاحياء حتى خلنا انه لبس من الاحياء فحارت
لعوزه عزوم السيّارة وائتمروا بما يجيرون للا
ستشارة فما زالوا بين عقدٍ وحلٍّ وشدٍّ وحلٍّ
الى ان نفد التناجي وقنط الراجي وكان جذنهم شخصٌ
مبسمه مبسم الشبّان ولبوسه لبوس الرهبان
وبيده سبحة النسوان وفي عينه ترجمة النشوان
وقد نبذ لحظه بالجمع وارهف اذنه للاستراق

السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح له خفاؤهم
وقال لهم يا قوم ليفرخ روعكم ولتأمن سربكم
مساجركم بما تسروا روعكم ويبدوا طوعكم قال
الراوي فاستطعمنا منه طلع الخفارة واستنبأنا الحال
له عن السفارة فزعم انها كلمات لقنها في المنام
ليحترس بها من كيد الأنام فجعل بعضنا يومض الى بعض
ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين له انا
استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم
اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا ولطالما
والله جبت مخاوف الأقطار وولجت مقاحم الأخطار
فغنيت

فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم اني
سأنفي ما رابكم واستسل الحذر الذي نابكم بأن
أوافقكم في البداوة وأرافقكم في الصحراوة فإن صدقكم
وعدي فاجدوا واسعدي واسعدوا جدي وان
كذبكم فمي فمزقوا ادمي واريقوا دمي قال الحارث
بن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه
فنزعنا عن جدال لبثه واستهمنا على معادلته
وقصينا بقوله عرى الريب والغينا الغاء العائب
والعائب ولما حكمت الرحال وأزف الترحال استقرأنا
كلماته الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال

ليقرأ كلٌّ منكم أمَّ القرآن كلما أظلَّ الملوان ثم ليقل
بلسانٍ خاضعٍ وصوتٍ خاشعٍ اللهمَّ يا محيي الرفات
ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم
المكافآت ويا مؤمَّل العفاة ويا وليَّ العفو والمعافاة
صلِّ على محمدٍ خاتم أنبيائك وسابق أوليائك
ومبلِّغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته
وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين
وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة
العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين
وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين

وأجرني

وأجرني اللهمَّ من جور المجاورين وسطوة الجابرين
وكفَّ عنِّي أكفَّ الظالمين وأخرجني من ظلمات
وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهمَّ احفظني
في تربتي وغربتي ومنقلبي وغيبتي وأوبتي ونجعتي
ورجعتي وتصرُّفي ومنصرفي وتقلُّبي ومنقلبي ووجهتي
ووجاهتي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي
وعددي وعُددي وسكني ومسكني وحولي وحالي
ومالي ومآلي ولا تُلحقني بي تغييرًا ولا تسلِّط عليَّ
مغيرًا واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا اللهمَّ
احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك

ومنك وتولّني باختيارك وخيرك ولا تكلني الى كلائة
غيرك اللأواء واكنفني بحواشي الآلاء ولا تظفر بي
الأعداء انك سميع الدعاء ثم اطرق لا يبدي لحظا
ولا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسته خشية او اخرسته
غشية ثم اقنع راسه وصعّد انفاسه وقال اقسم
بالسماء ذات الابراج والارض ذات الفجاج
والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء
والعجاج انها لمن ايمن العوذ واغنى عنكم من لابسي
الخوذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق
من خطب الى الشفق ومن ناجاها طليعة الغسق

امن ليلته من السرق قال فتلقّناها حتى اتقنّاها وتدا
رسناها لكي لا ننساها ثم سرنا نزجي الحمولات بالد
عوات لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة
وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجزنا
العدات حتى اذا اعاننا اطلال عانة قال لنا الاعانة
الاعانة فاحضرناه المعلوم والمكتوم واريناه المختوم
والمختوم وقلنا له اقض ما انت قاض فما تجد فينا غير
راض فما استخفّه سوى الخف والزنّ ولا حلي
بعينه غير العين فاحتمل منهما وقره وناء بما سدّ
فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت

منّا انصلاتاً لفريقاً وحشنا فراقه وادهشنا افتراقه ولم
نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغدو وهاد الى
ان قيل انه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فاغراني خبث هذا
القول بسبكه والانسلاك فيما لست من سلكه فادلجت
الى الحانة في هيئة منكرة فاذا الشيخ في حلة ممصّرة
بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر
وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان
وطوراً يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان
وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه و
تفاوت يومه من امسه قلت له أولى لك يا ملعون
أنسيت

أنسيت يوم جيرون فضحك مستغرباً ثم انشد مطرباً
لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لاجني
الفرح وخضت السيول وروضت الخيول لجرّ ذيول
الصبا والمرح وامطت الوقار وبعت العقار لحسو
العقار ورشف القدح ولولا الطماح الى شرب
راح لما كان باح فمي بالملح ولا كان ساق دهائي
الرفاق لارض العراق بحمل السبح فلا تغضبن ولا
تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح ولا تعجبن لشيخ
ابن بمغنى اغن ودن طفح فان المدام تقوي العظام
وتشفي السقام وتنفي الترح واصفى السرور اذا

اذا ما الوقور اماط ستور الحيا واطرح واحلى

اماط العرام اذا المستهام ازال اكتتام الهوى وافتضح

فبح بهواك وبرد حشاك فزندا اساك به قد قدح

وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي

تفترح وخص القيون لبسان بسوق بلا المسوق

اذا ما طمح وشاد يشيد بصوت يميد جبال ا

لحديد له ان صدح وعاص النصيح الذي لا يبيح

وصال المليح اذا ما سمح وجل في المجال ولو بالمحا

ودع ما يقال وخذ ما صلح وفارق اباك اذا ما

اباك ومد الشباك وصد من صنع وصاف الخليل

وناف البخيل واول الجميل ووال المنيح ولذ بالمتاب

امام الذهاب فمن دق باب كريم فتح فقلت لدى تنجيح كلامه

لوا ابيك واف وتف لغوايتك فبالله من اي الاعاص

عنصك فقد اعضلني عويصك فقال ما احب ان افصح الا

عني ولكني ساكني وانشد انا اطروفة الزمان وا

عجوبة الامم وانا الحول الذي احتال في العرب والعجم

غير اني ابن حاجة هاضه الدهر واهتضم وابو صبية زغب

بدوا مثل لحم على وضم واخو العيلة المعيل اذا احتال عن حقرم

لم يلم قال الراوي فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذو

الريب والعيب ومسود وجه الشيب وعضلة العضل

وأنّ خضابه من حبائل الحيل وساءني عظم تمرّده وقبح

تورّده فقلت له بلسان الأنفة وإدلال المعرفة

الرأي لك يا شيخنا عن أن تقلع عن الخنا فتصحو وتزجر

وتنكّر وفكّر ثمّ قال إنّها لليلة مراح لا تلاح وهذه

شرب راح لا كفاح فعدّ عمّا بدا إلى أن نتلاقى

غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلّقا بعدته وبتّ

ليلتي لابسا حداد الندم على نقل خطا القدم إلى

خندريسة الكرم وعاهدت الله سبحانه وتعالى أن

لا أحضر بعدها حانة نبّاذ ولو أعطيت ملك بغداد

وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو رددت على عصر

الشباب

الشباب ثمّ إنّا رحّلنا العنس وقت التغليس وخلّينا بين

الشيخين أبي زيد وإبليس

قال الحارث بن همّام ندوت

بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم

مبارٍ بغبار ولا يجري معهم ممارٍ في مضمار فأفضنا

في حديث يفضح الأزهار إلى أن نصفنا النهار فلمّا

غاض درّ الأفكار وصبت النفوس إلى الأوكار لمحنا

عجوزا تقبل من البعد وتحضر إحضار الجرد وقد استتلت

صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل

فما كذبت إذ رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا

قالت حيّا الله المعارف وان لم يكنّ معارف اعلموا يا مآل

الأمل وثمال الأرامل انّي من سروات القبائل وسريّات

العقائل لم يزل اهلي وبعلي يحلّون الصدر ويسيرون

القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما اردى الدهر

الأعضاد وفجع بالجوارح الأكباد وانقلب ظهرا لبطن

نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة

وصلد الزند ووهنت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا

ثنيّة ولا ناب فمذ اغبرّ العيش الأخضر وازورّ المحبوب

الأصفر اسودّ يومي الأبيض وابيضّ فودي الأسود

حتى رثى لي العدوّ الأزرق فحبّذا الموت الأحمر وتلوي

من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية

احدهم ثردة وقصارى منيته بردة وكنت آليت

ان لا ابذل الحرّ الا للحرّ ولو انّي متّ من الضرّ

وقد ناجتني القرونة بان توجد عندكم المعونة وآذنتني

فراسة الحوباء بانكم ينابيع الحياء فنضّر الله امرأ ابرّ قسمي

وصدّق توسّمي ونظر اليّ بعين يقذيها الجمود و

يقذيها الجود قال الحارث بن همّام فهمنا لبراعة عبارتها

وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف المامك

فقالت افجّر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا من رواتك

لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينّكم اولا شعاري ثم

لا أرويتكم أشعارا فأبرزت رُدُنَ دِرْعٍ دارس وبَرزت

بِزَّة عجوزٍ دَرْدَ تلبس المُسِنَّة وأنشأت تقول أشكو إلى الله

اشتكاء المريض ريبَ الزمان المتعدّي البغيض يا قوم

إني من أناسٍ عَنَوا دهرًا وحَصَّ الدهر عنهم غضيض

فجارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض

كانوا إذا ما نجعة أعوزت في السنة الشهباء روضًا أريض

تشبّ للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف

لحمًا غريض ما بات جارهم ساغبًا ولا لروع قال حال

الجريض فغيضت منهم صروف الردى بحار جودٍ

لم أخلها تغيض وأودعت منهم بطون الثرى أسد

النحاحي

النحاحي وآساة المريض فحملي بعد المطايا المطا وموطني

بعد البقاع الخصيب وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤس ما له

في كل يوم وميض إذا دعى القانت في ليله مولاه ناداه

بدمع يفيض يا رازق النعّاب في عشّه وجابر العظم

الكسير المهيض أتح لنا اللهمّ من عرضه من دنس

اللوم نقي رحيض يطفئ نار الجوع عنا ولو بمذقة

من حاذر رائب حمض فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم

الشكر الطويل العريض فوالذي تعنو النواصي

له يوم وجوه الجمع سود وبيض لولا هم لم تبدل

صفحة ولا تصدّيت لنظم القريض قال الراوي

فوالله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب واستخرجت

خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح

لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها

تبرا ولو لاها كل منا برا تولت تتلوها الا

طاعن وفوها بالشكر فاغر فاشرابت الجماعة

بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فما

تكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت

اقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة

بالانام مختصة بالزحام فانغمست فى الغمار

وامتلست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو

بال

الى مسجد خال فاماطت الجلباب ونضت النقاب

وانا المحها من خصاص الباب وارقب ما سيبدو من

العجاب فلما انسرت اهبة الخفر رايت محيا ابى زيد قد سفر

فهممت بان اهجم عليه لاعنفه على ما اجرى اليه فاستلقى

استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع

ينشد

يا ليت شعرى ادهرى احاط علما بقدرى

وهل درى كنه حالى فى الخدع ام ليس يدرى

كم قد قمرت بنيه بحيلتى وبمكرى

وكم برزت بعرف عليهم وبنكر

اصطاد قوما بوعظ واخرين بشعرى واستفز

بخل عقلا وعقلا بخمر وتارة انا صخر وتارة اخت صخر

صخرٍ ولو سلكتُ سبيلاً مألوفةً طولَ عمري لخابَ قدحي

وندمي ودامَ عسري وخسري فقلْ لمن لامَ هذا عذري

فدونكَ عذري قال الحارث بن همام فلمّا ظهرتُ على

جليّةِ امرهِ وما زخرفَ في شعرهِ من عذرهِ علمتُ

انّه انّ شيطانَهُ المريدَ لا يسمعُ التفنيدَ ولا يفعلُ

الّا ما يريدُ فثنيتُ الى اصحابي عناني وابثثتُهم ما اثبتَهُ عياني

فتوجّعوا لضيعةِ الجوائزِ وتعاهدوا على محرمةِ العجائزِ

حكى الحارث بن همّام قال نهضتُ من مدينةِ السلامِ

لحجّةِ الاسلامِ فلمّا قضيتُ بعونِ اللهِ التفثَ واستبحتُ

الطيبَ

الطيبَ والرفثَ صادفَ موسمُ الخيفِ معمعانَ الصيفِ فا

ستظهرتُ للضرورةِ بما يقي حرَّ الظهيرةِ فبينما نحنُ تحتَ

طرافٍ مع دفعةِ ظرافٍ وقد حميَ وطيسُ الحصباءِ واعشى

الهجيرُ عينَ الحرباءِ اذ هجمَ علينا شيخٌ متسعسعٌ يتلوهُ فتًى

مترعرعٌ فسلّمَ الشيخُ تسليمَ اديبٍ وحاورَ محاورةَ قريبٍ

لا غريبٍ فاعجبنا بما نثرَ من سِمْطِهِ وعجبنا من انبساطِهِ

قبلَ بسطِهِ وقلنا له ما انتَ وكيفَ ولجتَ وما استأذنتَ

فقال امّا انا فعافٍ وطالبُ اسعافٍ وبِرُّ ضرّي عبرُ

خافٍ والنظرُ الجليُّ شفيعٌ لي كافٍ وامّا الانسانُ الذي

علقَ بهِ الارتيابُ فما هو بنجابٍ اذ ما على الكرماءِ من حجابٍ

فَسَأَلْنَاهُ أَنَّى اهْتَدَى إِلَيْنَا وَبِمَا اسْتَدَلَّ عَلَيْنَا فَقَالَ إِنَّ لِلْكَرَمِ

نَشْرًا تَنِمُّ نَفَحَاتُهُ وَتُرْشِدُ إِلَى رَوْضِهِ فَوْحَاتُهُ فَاسْتَدْلَلْتُ

بِتَأَرُّجِ عَرْفِكُمْ عَلَى تَبَلُّجِ عُرْفِكُمْ وَبَشَّرَنِي تَضَوُّعُ رَيَّاكُمْ

بِحُسْنِ الْمُنْقَلَبِ مِنْ عِنْدِكُمْ فَاسْتَخْبَرْنَاهُ حِينَئِذٍ عَنْ لُبَانَتِهِ

لِنَكْفُلَ بِإِعَانَتِهِ فَقَالَ إِنَّ لِي مَآرِبًا وَلِقْيَانِي مَطْلَبَا

فَقُلْنَا كِلَا الْمَرَامَيْنِ سَيُقْضَى وَكِلَاكُمَا سَوْفَ يُرْضَى وَلَكِنَّ

الْكِبَرَ الْكِبَرَ فَقَالَ أَجَلْ وَمَنْ دَحَا السَّبْعَ الْغُبَرَ ثُمَّ وَثَبَ

لِلْمَقَالِ كَالْمُنْشَطِ مِنَ الْعِقَالِ وَأَنْشَدَ امْرُؤٌ أَبْدَعَ أَنْجَدَ

الْوَجَى وَالتَّعَبِ وَشُقَّتِي شَاسِعَةٌ يَقْصُرُ عَنْهَا صَبِي وَمَا

خَرْدَلَةٌ مَطْبُوعَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فَلَيْتَنِي مُنْشِدَةٌ وَحُبِّي فِي

تلعب

تَلْعَبُ بِي إِنِ ارْتَحَلْتُ رَاجِلًا خِفْتُ دَوَاعِيَ الْعَطَبِ وَإِنْ تَخَلَّفْتُ

عَنِ الرُّفْقَةِ ضَاقَ مَذْهَبِي فَزَّ فَزَّنِي فِي صُعُدٍ وَعَبَّرَنِي

فِي صَبَبٍ وَأَنْتُمْ مُنْتَجَعُ النَّدَى وَمُرْتَجَى الطَّلَبِ لُهَاكُمْ مُنْهَلَّةٌ

وَلَا انْهِلَالَ السُّحُبِ وَجَارُكُمْ فِي حَرَمٍ وَدُورُكُمْ فِي جَوْبِ

مَا لَاذَ مُرْتَاعٌ بِكُمْ فَخَافَ نَابَ النُّوَبِ وَلَا اسْتَدَرَّ أَمَلٌ

حِبَاكُمْ فَمَا حُبِي فَانْعَطِفُوا فِي قِصَّتِي وَأَحْسِنُوا مُنْقَلَبِي

فَلَوْ بَلَوْتُمْ عِيشَتِي فِي مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي لَسَاءَكُمْ ضُرِّيَ

الَّذِي أَسْلَمَنِي لِلْكُرَبِ وَلَوْ خَبَرْتُمْ حَسَبِي وَنَسَبِي وَمَذْهَبِي

وَمَا حَوَتْ مَعْرِفَتِي مِنَ الْعُلُومِ النُّخَبِ لَمَا اعْتَرَتْكُمْ

شُبْهَةٌ فِي أَنَّنِي دَانِي الْأَدَبِ فَلَيْتَ عَنِّي لَمْ أَكُنْ أُرْضِعْتُ

ندى الأدب فقد دهلا شونه وعفى منه آي فقلنا له

اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعطيانتك و

ستعطيك ما يوصلك الى الملك فما ماربه ولد فقال

لا دنم يا بني كما قام ابوك وفد على نفسك لا فض فوك

فنهض الفتى نهوض البطل للبراز ولسانا كالعضب

الجراز وانشا يقول يا سادة في المعالي لهم مبان

مشيدة ومن اذا نابت خطب فاموايد فم المكيدة ومن

يهون عليهم بذل الكنوز العتيدة اريد منكم شواء

وجردقا وعصيدة فان علا فرقاق به بوارى الشهيدة

او لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريدة فان تعذرت

طر

طر فعجوة وزبدة فاحضروا ما تيسر ولو شظا من قديدة

ودرجوه فنفسي لما يروج مريدة والرد لا بد منه لرحلة

لجيدة وانتم خير رهط تدعون عند الشديدة ايديكم

ايديكم كل يوم لها ايادٍ مديدة ودراهمكم واصلات

شملي الصلات المفيدة ويعتني في مطاوى ما تروندون

زهيدة دق اجر وعفى بنفس كريم حميدة ولى نتايج

بكر يفضحن كل قصيدة قال الحارث بن همام فلما رأينا

الشبل يشبه الأسد ارجلنا الوالد وزودنا الولد

فقابلا الصنع بشكر نشرا اردينه وادابه

دينه ولما عزما على الانطلاق وعقد الرحلة حبك

النظّار قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب او

بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلّا بل جلّ

معروفكم وحلّى فقلت له فدنا كما دنا لك وافدنا ناجما

افدناك اين الدويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفّس

تنفّس من ادّكر اوطانه وانشد والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن كيف السبيل اليها وقد

اناخ الاعادي بها واخنوا عليها فوالتي سرت ابغي

حطّ الذنوب لديها ما راق طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع واذنت مدامعه بالهموع

فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها فقطع انشاده

المستحلى واوجز في الوداع وولّى

حكى الحارث بن همّام

قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب

ولا ارق صبّ طرد عن الباب ومنى بصدّ الاحباب

فلم تزل الافكار يهجن همّي ويجلن في الوسواس

وهمي حتى تمنّيت لمضض ما عانيت ان ارزق سميرا

من الفضلاء ليقصّر طول ليلتي الليلاء فما

انقضت منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع الباب

قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعلّ

غرس التمنّي قد اثمر وليل الحظّ قد اقمر فنهضت

الليل صح اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال اجنّه

وغشيه السيل ويبغي الايواء لا غير واذا السحر

تدتّم السّحر فلما دلّ شعاعه على شمسه ونمّ

عنوانه بسرّ طرسه علمت انّ مسامرته

غنم ومساهرته غنم ففتحت الباب بالتسليم

وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى

الدهر صعدته وبلّ القطر بردته فحيا بلسان

عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته وا

عتذر من الطروق في غير وقته فادنيته ما

المصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد

المنتقد

المنتقد فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب ولا رجم

غيب فاحللته محلّ من اظفر في بقصوى الطلب ونقلني

من وخد الكرب الى روح الطرب ثم اخذ يشكو

الأين واخذت في كيف واين فقال ابلغني ريقي

فقد اتعبني طريقي فظننته مستبطنا للسغب متكاسلا

لهذا السبب فاحضرته ما يحضر الضيف المفاجي في

الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم واعرض اعراض

المتبشم فسؤت ظنا بامتناعه واحفظني حؤول

طباعه حتى كدت اغلظ له في الكلام والسعه بحمة

الملام فتبينت من لمحات ناظري ما خامر خاطري

فقال يا ضعيف اليقين يا مهل المقة علام اخطر به

بالك واسمع الي لا أبا لك فقلت هات يا أخا الترهات

فقال اعلم اني بت البارحة حليف بلابل ونجي وسواس

فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح شهبه غدوت وقت

الإشراق الى بعض الأسواق متصديا لصيد ليسنح

أو حر يسنح فلحظت بها ثمرا قد حسن تصفيفه و

حسن الثمر مصيفه فجمع على التخفيف صفاء الرحيق

ونشوء العقيق وقابلته لبأ قد برز كالإبريز

الأصفر وانجلى في اللون المزعفر فهو ينبي على طاهيه

بلسان تناهيه ويصوب رأي مشتريه ولو نفحة

القلب فيه فاستفزتني الشهوة باشطانها واسلمتني العيمة الى سلطانها

فبقيت احير من ضب وأذهل من صب لا وجد يوصلني الى نيل

المراد ولا لذة الازدراد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة

الالتهاب لكن حدا بي القرم وسورته والسغب وفورته

على ان انتجع كل ارض وامتنع من الورود بربض فلم ازل

سحابة ذلك النهار اذ لي دلوي الى الانهار وهي لا ترجع

ببلة ولا تجلب نقع غلة الى ان صغت الشمس للغروب وضعفت

النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانثنيت اقدم رجلا

واؤخر اخرى فبينما انا اسعى واقعد وأهب واركد اذ انا

بشيخ يناغي آهة الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني

ما انا فيه من داء الذيب ولجوء الذيب عن تعاطي مداخلته

والطمع في مخاتلته فقلت له يا هذا ان لبكائك سرا ووراء نحيبك

لشرا فاطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك فانك

مواسيا ستجد مني طبا آسيا فقال والله ما بأوي لعيش فات ولا

من دهر افتات بل لانقراض العلم ودروسه وافول

اقماره وشموسه فقلت واي حادثة نجمت وقضية

استعجمت حتى هاجت لك الاسف على فقد ما سلف

فابرز رقعة من كمه واقسم بابيه وامه لقد انزلها

باعلام المدارس فما امتازوا عن الاعلام الدوارس وا

ستنطق لها احبار المحاريب فخرسوا ولا خرس سكان

المقابر

المقابر فقلت ارنيها فلعلي اغني فيها فقال ما ابعدك في المرام

فرب رمية من غير رام ثم ناولنيها فاذا مكتوب فيها

ايها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه

افتنا في قضية حاد عنها كل قاض وحار كل فقيه رجل

مات عن اخ مسلم حر تقي من امه وابيه وله زوجة لها

ايها الحبر اخ خالص بلا تمويه فحوت فرضها وحاز اخوها

ما تبقى بالارث دون اخيه فاشفنا بالجواب عما سألنا

فهو نص لا خلف يوجد فيه فلما قرأت شعرها ولمحت سرها

قلت له على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا

اني مضطرم الاحشاء مضطر الى العشاء فاكرم مثواي

ثم استمع فتواي قال لقد أنصفت في الاشتراط وتجانفت

عن الاشتطاط فسر معي إلى مربع لنظفر بما نبتغي وننقلب

كما ينبغي قال فصاحبته الحذراء كما حكم الله ثم فأدخلني

بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت إلا

أنه جبر ضيق ربعه بتوسعة ذرعه فحكمني في القرى و

ما يشترى فقلت أريد أذهى راكب على أشهى مركوب

وأنفع صاحب مع أخص مصحوب فتفكر ساعة طويلة ثم قال لعلك

تعني بنت نخلة مع لباء سخلة فقلت إياهما عنيت ولأجلهما

تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستشيطا وقال اعلم أصلحك

الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا تحملنك

الجوع

الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على

أن تلحق بمن مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد

تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت

إليها ثم إني لست لك بزبون ولا أغضي على صفقة مغبون

وها أنا قد أنذرتك قبل أن ينهتك الستر ويحقد بيننا

الوتر فلا تلغ تدبيري الأنداد وحذار من المعاندة حذار

فقلت والذي حرم أكل الربا وأحل أكل التمر واللبا

ما فهت ببزور ولا دلفت بغرور وسنخبر حقيقة

الأمر ويحمد بذل اللبا والتمر فبش حتى شافه

المصدوق وانطلق معدا إليهما كان بأسرع من

سوق

ان اقبل وهو يهاب لي ووجهه من التعجب يكلح فوضعها
لديّ وضع الممتن عليّ وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة
العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهي
يلحظني كما يلحظ المحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا هلقت بلع
النوعين وغادرهما اثرا بعد عين اقردت حيرة في اطلال
بيات وفكرة في جواب الابيات فما لبث ان قام واحضر الدواة
والاقلام وقال قد ملات بجرابك فاملي الجواب والا فهات
تكلت الاغترام ما اكلت فقلت له ما عندي الا التحقيق فاكتب
الجواب وبالله التوفيق   قل لمن يلغز المسائل اني كاشف
سرها الذي تخفيه   ان ذاك الميت الذي قدم الشرع

اخا عرسه على ابن ابيه رجل زوج ابنه عن تحماة له ولا غرو
فيه ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه فهو
ابن عمه ابنه بغير مراء واخو عرسه بلا تمويه وابن الابن الصحيح
ادنى الى الجد واولى بارثه من اخيه فلذا حين مات اوجب للزوجة
ثمن التراث تستوفيه وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل اخوها
من امها باقيه وتخلى الاخ الشقيق من الارث فقلنا بكنيك
ان تبكيه ها كها مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل
فقيه قال الراوي فلما اثبت الجواب فاستثبت منه الصواب
قال اهلك والليل نشير الذيل وبادر السيل فقلت له اني
غريب وفي ايوائي افضل قربة لا سيما وقد اغدف جنح الظلام

وسحّ الرعد في ظلل الغمام أغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا
تطمع في أن تبيت فقلت ولِمَ ذاك مع خلوّ دارك فقال لأني أنعمت
النظر في التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر
في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما امتلأ و
تبطّن كما تبطّنت لم يخلص من كظّة مدنفة أو هيضة متلفة
فدعني بالله كفافا فاخرج عني ما دمت معافى فوالذي يحيي
ويميت ما لك عندي مبيت فلما سمعت أليّته وبلوت بليّته
خرجت من بيته بالرغم وتزوّدت الغمّ وتجود السماء و
نتخبط في الظلماء وتنبحني الكلاب وتتقاذف بي الأبواب
حتى ساقني اليك لطف القضاء فشكرا لليد البيضاء

فقلت

فقلت له أحبب بلقائك المتاح الى قلبي المرتاح ثم أخذ يفنّن
في حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح
وهتف داعي الفلاح فتأهب لإجابة الداعي ثم عطف الى
وداعي فعققته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلث فناشد وحرّج ثم
امرّ المخرج وانشد اذ عرّج لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم
ولا تزده عليه فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر
العيون اليه قال الحارث بن همام فودّعته بقلب دامي القرح
ووددت لو أن ليلي كان بطيء الصبح

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد
المغرب فلما أدّيتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفي رفقة قد

نداً نبذوا ناحيةً وامتازوا صفوةً صافيةً وهم يتعاطون

كأسَ المنافثةِ ويقتدحون زنادَ المباحثةِ فرغبتُ في محادثتهم

لكلمةٍ تُستفادُ وأدبٍ يُستزادُ فسعيتُ إليهم سعيَ

المتطفّلِ عليهم وقلتُ لهم أتقبلون نزيلاً يطلبُ جنى الأسمار

لا جنيَّ الثمارِ ويبغي مُلَحَ الحوارِ لا مَلحاءَ الحُوارِ فحلّوا لي

الحُبا وقالوا مرحباً مرحباً فلم أجلسْ إلا لمحةَ بارقٍ

خاطفٍ أو نغبةَ طائرٍ خائفٍ حتى غشينا جوّابٌ على عاتقه

جرابٌ فحيّانا بالكلمتين وحيّا المسجدَ بالتسليمتين

ثمّ قال يا أولي الألبابِ والفضلِ اللبابِ أما تعلمون أنّ

أنفسَ القرباتِ تنفيسُ الكرباتِ وأمتنَ أسبابِ النجاةِ مواساةُ

دوی

ذوي الحاجاتِ وإنّي ومن أحلّني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم لشريدُ

محلٍّ قاصٍ وبريدُ صِبيةٍ خِماصٍ فهل في الجماعةِ من يفثأُ عنّا

حُمّا المجاعةِ فقالوا له يا هذا إنّك حضرتَ بعدَ العشاءِ

فإنْ ولم يبقَ إلا فضلاتُ العَشاءِ فإنْ كنتَ بها قنوعاً فما

تجدُ فينا منوعاً فقال إنّ أخا الشدائدِ ليقنعُ بتفاضلِ

الموائدِ ونُفاضةِ المزاودِ فأمرَ كلٌّ منهم عبدَه أن يزوّدَه ما

عندَه فأعجبه الصنعُ وشكرَ عليه وجلسَ يرقبُ ما يُحملُ

إليه وثبنا نحن إلى استثارةِ مُلَحِ الأدبِ وعيونِه واستنباطِ معدنِه من عيونِه إلى أن جُلنا فيما لا يستحيلُ

بالانعكاسِ كقولك ساكبُ كاسٍ فتداعينا إلى أن

نستنبح له الأفكار ونفترع منه الأبكار على ان ينظم

البادي ثلث جمانات في عقده ثم تتدرج الزيادات

فيرتبع ذو ميمنة في نظمه ويسبّع صاحب ميسرته على رغمه

قال الحارث بن همام وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف

وتالفنا الفة اصحاب الكهف فابتدر لعظم محنتي صاحب

ميمنتي وقال لم اخا ملّ وقال ما منه كبرّ وجاء اخر وبك

وقال الذي يليه من يرب اذا برّ نبيم وقال الآخر سكت

كل من نم لك فكس وافضت النوبة الي وقد تعين نظم

سمط السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثرى

ويعسر وفي ضمن ذلك استطيع فلا يجد احد من يطعم

الان

الى ان ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو

حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو انه

نزلت هذه بإياس لامسك منها على ياس وجعلنا نفيض

في استصعابها واستغلاق بابها وذلك لضعف المعترض

بلحظ الحظ المزودي ويؤلف الدرر ونحن لا ندري فلما عثر

على افتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم ان من العناء

العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق

كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سانوب منابك

واكفيك ما نابك فان شئت ان تنثر ولا تعثر فقل

مخاطبا لمن ذم البخل واكثر العذل لذ بكل مؤمل اذا

لمّ وملّك بذلك وان احببت ان تنظم فقل للذي تعظّم

اسُ ارملاً اذا عرا وارعَ اذا المرء اسا اسنِدْ اخا

نباهة ابنِ اخاءً دنّسا اسلُ جنابَ غاشمٍ مشاغبٍ

انْ جلسا اسرِ اذا هبّ مرًا وارمِ به اذا رسا اسكنْ

تقوّ فعسى يسعف وقتٌ نكسا قال الحارث ابن همّام

فلما سحرنا بآياته وحسرنا ببعد غاياته منحناه حتى

استغنى ومنحناه الى ان استكفى ثم شمّر ثيابه وازدفر

جرابه ونهض ينشد لله درّ عصابةٍ صدقوا المقالِ

مقاولاً فاقوا الانامَ فضائلاً مأثورةً وفواضلاً

جاورتهم فوجدت سحباناً لديهم باقلاً نادمتهم

فبلوتُ اذ بلوتُ افاضلا وحللتُ فيهم سائلاً فلقيتُ

جوداً سائلاً اقسمتُ لو كان الكرامُ حيًا لكانوا وابلاً

ثم انه خطا فبدر وحين وعاد مستعيذاً من الحين وقال

يا عزّ من عدم الآل وكنز من سلب المال انّ الغاسق

قد وقب وجه المحجة قد انتقب وبيني وبين كيتي ليل دامس

وطريق طامس فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين

لي الآثار فلما جيء بالملتمس وجلّى الوجوه ضوء

القبس رأيت صاحبنا هو ابو زيد فقلت لا

صحابي هذا الذي اشرت الى انه اذا نطق اصاب وان

استمطر صاب فاتلعوا نحوه الاعناق واخذ قوله

الأحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجزوا

عليته فقال لما أجبتم ورحبًا بكم إذ رحتم غير أني

قصدتكم وأطفالي يتضوّرون من الجوع ويتوقعون لي

وشك الرجوع وإن استأثرت ما مرّهم الطيش ولم

يصف لي العيش فدعوني لأذهب فأسدّ مخمصهم

وأسيغ غصصهم ثم أنقلب إليكم على الأثر متأهبًا

للسمر إلى السحر فقلنا لأحد الغلمة اتبعه إلى فئته

ليكون أسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنًا جرابه و

مستحثًا إيابه وأبطأ إبطاءً جاوز حدّه ثم عاد الغلام

وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث قال

أخذني

أخذني في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا إلى

دويرة خربة فقال ها هنا مناخي ووكر أفراخي ثم

استفتح بابه واختلج مني جرابه وقال لعمري لقد

خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي

من نفائس النصيحة ومغارس المصالح وأنشد إذا

ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى آبل وإما سقطت

على بيدر فحوصل من السنبل الحاصل ولا تلبثن إذا ما

لقطت فتنشب في كفة الحابل ولا توغلن متى ما

سبحت فإن السلامة في الساحل وخاطب بهاب

وحاوب بسوف وبع آجلًا منك بالعاجل ولا

عَلى صاحِبٍ فما مَلَّ قطُّ سوى الواصِلِ ثمّ قال

أُخْرُها في أُمورِكَ وأنتدِبها في أُمورِكَ وبادِرْ

إلى صحبِكَ في كلاءةِ ربِّكَ فإذا بلغتَهم فأبلِغهُم

تحيّتي واتلُ عليهم وصيّتي وقُلْ لهم عنّي إنّ السَّهو

في الخُرافاتِ لمِنْ أعظمِ الآفاتِ ولستُ أُلغي أخيرا سهوي

ولا أجنِّبُ الهَوَسَ إلى راسي قال الرّاوي فلمّا وقفنا على

شِعْرِهِ على نُكرِهِ ومَكرِهِ نَدِمْنا على تركِهِ وتلاومْنا

على الاغترارِ بإفكِهِ ثمّ تفرّقناهُ بوجوهٍ باسرةٍ و

صَفقةٍ خاسرةٍ حدّث الحارثُ بنُ همّامٍ قال لحظْتُ

في بعضِ مطارحِ البَيْنِ ومطامحِ العَيْنِ فِتيَةً عليهم

سِيماءُ الحِجى وطلاوةُ نجومِ الدُّجى وهُم في مُماراةٍ

مُشتدّةِ الهُبوبِ ومُباراةٍ مُشتطّةِ الأُلهوبِ

هزّتني لِقَصْدِهم هوى المُحاضرةِ واستحلاءُ جنى المُناظرة

فلمّا انْحفَفْتُ بِرَهْطِهم وانتضمْتُ في سِمْطِهم قالوا

أأنتَ مِمّن يُبلي في الهَيجاءِ ويُلقي دَلْوَهُ في الدِّلاءِ

فقلتُ بل أنا من نظّارةِ الحَرْبِ لا من أبناءِ الطّعنِ والضّربِ

فأضربوا عن جِماحِهم وأفاضوا في التّناجي وكان في بُجبوحةِ

حلقتِهم وإكليلِ رُفقتِهم شيخٌ قد برَّهُ الهمومُ ولوّحتْهُ

السَّمومُ حتّى عاد أنحلَ من قلمٍ وأحلَّ من حلمٍ إلّا

أنّه كان يُبدي العُجابَ إذا أجابَ ويُنسي سحبانَ كلّما

آبان فأعجبت يا اولي من الاصابة والتبرّي على تلك

العصابة وما زال يفضح كل معمّى ويبصر في كل

مرمى الى ان خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب

فلما رأى انفاض القوم واضطرارهم الى الصوم

عرّض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فقالوا

له وحبّذا ومن لنا بذا فقال أتعرفون رسالة أرضها

سماؤها وصبحها مساؤها تنتجب على منوال البين

وتجلّى في لونين وصلت الى جهتين وبدت ذات

وجهين ان برغت من مشرقها فناهيك برونقها

وان طلعت من مغربها فيا لعجبها قال فكأن القوم

زمّوا

زمّوا ابا الصمات وحقّت عليهم كلمة الانصات فالتبس منهم

اللسان ولا فاه لهم لسان حتى اراهم بكماً كالانعام

وصموتاً كاصنام قال لهم يا قوم قد اجّلتكم اجل العِدّة

وارخيت لكم طول المدّة ثم ها هنا مجمع الشمل وموثق

الفصل فان سمحت خواطركم مدحنا وان صلدت

زنادكم قدحنا فقالوا له والله ما لنا في لجّة هذا البحر

مسبح ولا في ساحله مسرح فأرح افكارنا من الكدّ

وهَبْ العطيّة بالنقد واتخذنا اخوانا يثنون اذا

ونت ويثنون متى استثنت فاطرق ساعة ثم قال

سمعا سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني واملوا عني

الإنسان صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب

وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار ا

السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال

المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح

وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر

الألباب وشرك الهوى آفة النفوس وملك

الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع

والتزام الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب

شر المعايب وتتبع العثرات يمحص المودات و

خلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال

ثمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن

المعونة تنشئ المؤنة وفضل الصدر بسعة الصدر وزينة

الرعاية مقت السعاة وجزاء المدائح الرسائل ومهر

الوسائل تشفع المسائل ومجلبة الغواية استعزاز

الغاية وتجاوز الحد وتعدي الأدب يحبط القرب

وتناسي الحقوق ينشئ العقوق وتحاشي الريب يرفع الرتب

وارتفاع الأخطار وسمو الأقدار بمواتاة الأقدار

وشرف الأعمال في نقص الآمال وإطالة الفكرة

تلقح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع

الحاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال تتفاضل الرجال

وتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزييد السفير يهون النديد

وبجلل الأحوال تتبين الأهوال وبموجب الصبر ثمرة

النصر واستحقاق الأحماد بحسب الاجتهاد وو

جوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء المولى

بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الأمانات واختبار

الإخوان بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء بكف

الأوداء وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر

العواقب يؤمن المعايب وانقطاع الشنعة بنشر

السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفاء وجوهر الأحرار

عند الإسرار ثم قال هذه مائة لفظة تحتوي على أدب

وعظة

وعظة لمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن

رام عكس قالبها وأن يردها على عقبها فليقل الأسرار

عند الأحرار وجوهر الوفاء ينافي الجفاء وقبح السمعة

بنشر الشنعة ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها

حتى تكون خاتمة نفرها وآخرة دررها ورب الإحسان

صنيعة الإنسان قال الراوي فلما صدع برسالته

الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الإنشاء

وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا

بذيله وتلذذ له بفلذة من نيله فأبى قبول فلذتي وقال

لست أرزأ تلامذتي فقلت له كن أبا زيد على شحوب

سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال انا هو على نحولي

ونحولي وشفوف حؤولي فأخذت أثرّبه على تشريده

وتغرّبه بحولق واسترجع ثم انشد من قلبٍ موجع

سلّ الزمان عليّ عضبه ليروعني واحدّ غربه واستلّ

من جفنيّ كراه مراغماً واسال غربه واجال لي في الآفاق

اطوي مشارقه وأجوب غربه فبكل جوٍّ طلعة في كل

يومٍ لي وغربه وكذا المغرّب شخصه متغرّب ونواه

غربه ثم ولّى يجرّ عطفيه ويخطر بيديه ونحن نتبع

ملتفتين اليه ومتهافتين عليه ثم لم نلبث ان حللنا

وتفرقنا ايادي سبا

المقامة العاشرة

حكى

حكى الحارث بن همام قال نقلت ذات مرة من الشام نحو

مدينة السلام في ركب من بني نمير ودفعة اولي خير

ومير ومعنا ابو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة

الثكلان واعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان والبنان

فصادف نزولنا سنجار ان اولم بها احد التجار ولكنّ

عالج مأدبته الجفلى من اهل الحضارة والفلاة حتى سرت

دعوته الى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة

فلما اجبنا مناديه واحضر من اطعمة اليد والبدين

ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدّم جاماً كأنما جمد

من الهواء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء

اوْ نُثِرَ من الدُّرَّةِ البيضاءِ وقد اُودِعَ لفائفَ النِّعَم

وضُمِّخَ بالطِّيبِ العميمِ وسِيقَ اليهِ شَرْبٌ مِن التَّسنيمِ

وسَفَرَ عن مَرْأًى وسيمٍ وأرَجٍ نسيمٍ فلمّا اضطرمتْ عـ

بمحضرهِ الشَّهواتُ وزمّتْ الى محضرهِ اللَّهَواتُ وشارفَ

أن نُشِنَّ على سِرْبِهِ الغاراتِ ويُنادى عند نَهْبِهِ يا لَلثّاراتِ

نَشَزَ ابو زيدٍ كالمجنونِ وتباعدَ عنهُ تباعُدَ الضَّبِّ

مِنَ النُّونِ فراوَدْناهُ على أنْ يعودَ وانْ لا يكونَ

كقُدارٍ في ثمودٍ فقالَ والذي يَنشُرُ الأمواتَ

لا عُدْتُ دونَ رفعِ الجامِ مِنَ الزُّجاجِ فلم نجدْ بُدًّا

مِنْ تألُّفِهِ وإبرارِ حَلْفِهِ فأشَلْناهُ والحُقولُ معَهُ

شائلة

شائلةٌ والدُّموعُ عليهِ سائلةٌ فلمّا فاءَ الى مَجْثِمِهِ وتخلّصَ مِن مأثمِهِ سألناهُ لِمَ قامَ ولأيِّ معنًى استرجعَ

الجامَ فقالَ إنّ الزُّجاجَ نمّامٌ وإنّي آليتُ مُذْ أعوامٍ

أنْ لا يضُمَّني ونمومًا مقامٌ فقُلنا لهُ وما سببُ يمينِكَ

الصَّبْرى وأليّتِكَ الحَرّى فقالَ إنّهُ كانَ لي جارٌ لسانُهُ

يَغُرُّ وقلبُهُ عقربٌ ولفظُهُ شهدٌ يُنقِعُ وسَخْبَتُهُ

سمٌّ مُنقَعٌ فملتُ لمجاورتِهِ الى محاورتِهِ واغتررتُ

بمكاشرتِهِ في معاشرتِهِ واستهوتني خُضرةُ دِمنتِهِ

لمنادمتِهِ وأغرتني خُدعةُ سِمَتِهِ بِما سَمَتُهُ فمازجتُهُ

وعِندي أنّهُ جارٌ مُكاسِرٌ فبانَ أنّهُ عُقابٌ كاسِرٌ

والسنة على انه حبب مؤانس فوضح انه حباب موا

لس وما الحنة وما اعلم انه عند نقده ممن يفرح

بفقده وعاقرته ولم ادر انه بعد فره ممن يطرب

لمزه وكانت عندي جارية لا يوجد لها في الكلام

مجارية ان سفرت خجل النيران وصليت القلوب با

النيران وان تبسمت ازرت بالجمان وبيع المرجان

بالمجان وان رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل

وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم

من المعاقل وان قرات شفت المفؤود واحيت

المؤود وخلتها اوتيت من مزامير آل داود وان

غنت

غنت ظل معبد لها عبدا وقيل سحقا لاسحق وبعدا

وان زمرت اضحى زنام عندها زنيما بعد ان كان لجبلة

زعيما وبا لا لاطراب زعيما وان رقصت اما لت العمائم

عن الرؤس وانستك رقص الحبب في الكؤس فلكنت

اندر لي معها خمر النعم واحلى بتمليها حمد النعم

واحجب مراها عن الشمس والقمر واذود ذكراها

عن شرايع السمر وانا مع ذلك ابخ من ان لسري

بريا ها ريح او يكهن بها سطيح او ينم عليها برق

مليح فاتفق لو شل الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس

ان انطقتني بوصفها حميا المدام عند الجار النمام

ثم ثاب الفهم بعد ان صرد السهم فاحسست
الحبائل والوبال وصبغة ما اودع ذلك الغربال
بيد اني عاهدته على كتم ما لقنته وان يحفظ السر
ولو احفظته فزعم انه يخزن الاسرار كما يخزن
اللئيم الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض
لان يلج النار فما عبر على ذلك الزمان الا يوم
او يومان حتى بدا لامير تلك المدرة والبادي
المقدرة ان يفصد باب مثله محمد عرض حبله
مستمطرا عارض نيله وارتاد ان يصحبه تحفة تلائم
هواه ليقدمهما بين يدي نجواه وجعل يبذل

الحبائل

الحبائل لرواده ويبني المراغب لمن يظهره بمراده
فاسف ذلك الجبار العناد الى بذوله وعصى في ادراع
العار عذل عذاله فاتى الوالي شانا ناشرا اذنيه
وابثه ما كنت اسررته اليه فما داعني الا انسياب
صاغته الي وانثيال حفدته على يسومني اثارة يا
الدرة اليتيمة على ان احكم عليه في القيمة فخشيني
من الهم ما غشى فرعون وجنوده من اليم ولم ازل
ادافع عنها ولا يغني الدفاع واستشفع اليه ولا
يجدي الاستشفاع وكلما راى مني ازديادا الاغبا
وارتياد المناص تجرم وتضرم وتحرق على الأرم

ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة بلدي ولا تأذن

انتزع قلبي من صدري حتى آل الوعيد ايقاعا والتوريع

فإذا انقاد في الأشطان من الحين إلى أن فضضه سواد العين

بصفرة العين ولم يحظ الواشي بغير الإثم والشين فتعاهد

بعلي مذ ذلك العهد أن لا أحاضر نماما من بعد والرجا

مخصوص بهذه الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة

فقد جرى عليه سبيل يميني فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته

على أن حرمتم في انتظار القطايف فقد بان عذري

في صنيعي وأنني سأرتق فتقي من تليدي وطارفي على أن ما

زودتكم من فكاهة ألذ من الحلو لذا كل عارف

الحارث

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له

فلما وقفت النميمة خبر البشر حتى عن حمالة الحطب ما انتشر

ثم سألناه عما أحدث جاره القتات وتخلله المقتات بعد أن

راش له نبل السعاية وجذم حبل الرعاية فقال أخذ في الا

ستخذاء والاستكانة والاستشفاع إلى بذوي المكانة وكنت

حرجت على نفسي أن لا أسترجعه أنسي أو يرجع إلى أمسي فلم

يكن له مني سوى الرد والإصرار على الصد وهو لا يكتئب

من النجه ولا يتأثب من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح

في المسائل فما أنقذني من إبرامه ولا أبعد عليه نيل مرامه

إلا أبيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المبتور فإنها

كانت مدحرة لشيطانه ومسجنة له في أوطانه وعند انتشارها
بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور وابلس من تشبث
وصلي المقبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فناشدناه أن يتبع
إياها ويشفنا ريّاها فقال أجل خلق الإنسان من عجل
ثم أنشد لا تزويه خجل ولا أبثه وجل وندبهم
خلته صديقا حميما إذ توهمته محضته صدق ودي
ثم أوليته قطيعة قال حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل أن يجرب إلفا ذا ذمام فبان جلفا ذميما و
نخبرته كليما فأمسى منه قلبي بما جناه كليما وتظننته معينا
فتبينته لعيني رجيما وترائيته مريدا لخلتي فتبينته
سيكي

سيكي له مريدا لئيما وتوسمت أن يهب نسيما فأبى أن يهب إلا
سموما بت من لسعه الذي أعجز الراقي سليما وبات مني سليما وغدو
وغدا أمره غداة افترقنا مسقما والجسم مني سقيما لم يكن
رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما قلت
لما بلوته ليته كان عديما ولم يكن لي نديما نغص الصبح
حين نم إلى قلبي لأن الصباح يلفي نموما ودعا لي الهوى الليل
إذ كان سواد الدجى رقيبا كتوما وكفى من لسى ولوقاه ما بلغ
آثاما فيما أتاه ولوما قال الراوي فلما سمع رب المنزل قريضه
وسجعه واستحلى تقريظه وسجعه بوأه مهاد كرامته وصدره
على نكرمته ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلواء

الفند والضرب وقال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة ولا

يسع ان يجعل البري كذي الظنة وهذه الآنية تتنزل منزلة الا

نبار في صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هود بعاد

ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم فيها هواه فاقبل علينا ابو زيد

وقال اقرأوا سورة الفتح وابشروا بانديال الفرح فقد جبر الله

ثكلكم وسني اكلكم وجمع في ظل الحلواء شملكم

وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولما هم بالانصراف

مال الى استهداء الصحاف فقال للاديب ان من دلائل الظرف

سماحة المهدي بالظرف فقال كلاهما والغلام فا

فاحذف الكلام وانهض للسلام فوثب في الجواب وشكره

شكرا

شكر الروض للسحاب ثم افادنا ابو زيد الى حوائره وحكمنا

في حلوائه وجعل يقلب الاواني بيده وينفض عددها

الى عدده ثم قال لست ادري ءاشكو ذلك النمام ام اشكر

وانا اسي فعلته التي فعل ام اذكر فائته وان كان اسلف

الجريمة ونمنم النميمة ومن غنيمة انهلت هذه الديمة انضيت

وبسيفه الحازت لي هذه الغنيمة وقد خطر ببالي ان

ارجع الى اشبالي واقنع بما تسنى لي وان لا اتعب

نفسي ولا اجمالي وانا اودعكم وداع محافظ واستودعكم خير

حافظ ثم استوى على راحلته راجعا في حافرته ولا ريا الى

زائرته فغادرنا بعد ان وخدت عنسه وزايلنا انسه

المقامة التاسعة عشرة

كذبت غاب صديقه أول ليل أهل بدره

روى الحارث بن همام قال أحل العزم ذات العويم لإخلاف
أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها
المخصبين فاعتقدت مهرياً واعتقلت سمهرياً وسرت نلتطي
الأرض إلى أرض وأتخدى في ربع من خفض حتى بلغتها نقضاً على
نقض فلما أنخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها
بنصيب نويت أن ألقي بها جراني وأتخذ من أهلها جيراني إلى
أن يحيي السنة الجماد ويبعث الأرض موتى العهاد فوالله
ما مضمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي عن يومها
أو ألفيت أبا زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبين ويخبط

بها

بها خبط المصابين والمصيبين وهو ينثر من فيه الدرر ويحلب
بكفيه الدرر فوجدت جهاده قد حاز مغنماً ويدعى الفدفد
صار توأماً ولم أدر أنبع طلّه انما انبعث والتقط القطة
كلما نفث إلى أن عراه مرض امتد مداه وعرقه مداه
حتى كاد يسلبه ثوب المحيا ويسلمه إلى أبي يحيى فوجدت
لفوت ملقاه وانقطاع سقياه ما يجده المبعد عن قرابته
والمرضع عند فطامه ثم أرجفنا أن رهنه قد غلق وحبل
الحمام بيده قد علق فقلق صحبه لإرجاف المرجفين وقالوا
إلى عقوته موجفين وقال حان يبيد بهم سحوهم
كأنهم أرضعوا الحبذ يلسا القفر أسالوا العروب

وعطو الجيوب وصكو الخدود وشجو الرؤوسا يودون
لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا قال الراوي
وكنت فيمن النفا صحابه واغتدى الى بابه فلما انتهينا الى فنائه ونصبنا
لاستنشاء انبائه برز الينا فتاه مفترة شفتاه
فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال
قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة الى ان شفه الدنف
واستشفه التلف ثم من الله تعالى بتقويته ذمائه فافاق
من اغمائه فارجعوا ادراجكم وانضوا انزعاجكم فكان قد شد
وراح وساقكم الراحة فاغتبطنا ببشراه واقترحنا ان نراه
فدخل مؤذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه لفا ولسانا

طلقا

طلقا وجلسنا محدقين بسريره محدقين الى اساريره فقلب طرفه
في الجماعة ثم قال اجتلوها بنت الساعة وانشد عافاني الله
وشكرا له من علة كادت تعفيني ومن بالبرء على الله لا بد
لا بد من حتف سريع ما بيننا سائق ولكنه الى انقضا الأ
كل ينسيني ان حم لم يغن حميم ولا حمى كلفته يحميني
وما ابالي ادنا يومه ام اخر الحين الى حين فاي عز في حيوة
ارى فيها البلايا ثم تبليني قال فدعونا له بامتداد
الأجل وارتداد الوجل ثم تسندا عينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال
كلا بل البثوا ابياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي
فان مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس انسي فحزنا مرضاته

وتحامينا معاطاته واقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي زبده
الى ان حان وقت المقيل وكلّت الالسن من القال والقيل وكان
يوما حامي الوديقة مائج الحديقة فقال ان النعاس قد امال
الاعناق وورّد الاماق وهو خصم الدّ وخطب لا يردّ فصلوا
حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة قال الراوي
فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وافرغ
السنة في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بال
الهجود عن السجود فما استيقظنا الا والحرّ قد باخ واليوم قد
شاخ فتكرّعنا الصلاتين الجماوين وادّينا ما حلّ من الدين
ثم تحثثنا للارتحال الى مُلقى الرحال فالتفت ابو زيد الى

شبله

شبله وكان على شاكلته وشكله وقال اني لأخال ابا عمرة قد
ضرم في احشائهم الجمرة فاستدع ابا جامع فانه بشرى لكل جائع
واردفه بابي نعيم الضابر على كل ضيم ثم عززه بابي حبيب
المحبب الى كل لبيب المقلّب بين احراق وتعذيب واهب بابي
ثقيف فحبّذا هو من اليف وهلمّ بابي عون فما مثله من
عون ولو استحضرت باجميل الجمل اي تجميل وحيّهل بامّ القرى
المذكرة لكسرى ولا تنس امّ جابر فكم لها من ذاكر وناد
امّ الفرج ثم افتك بها ولا حرج واختم بابي زرين فهو
مسلاة كل حزين وان تقرن به ابا الحلي تمّ اسملك من
البخلاء واياك واستدناء المرجفين قبل استقلال

حول البين واذا نزع القوم عن المراس وصافحوا ابا الياس

فاطف عليهم ابا السرو فانه عنوان السرور فقفاه ابنه

لطائف بجونه بلطافة تميزه فطاف علينا بالطيبات و

لطيب الى ان اذنت الشمس بالمغيب فلما اجمعنا على النوع

قلنا له الم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه

ثم لاح مسته مستنيرا فسجد حتى اطال ثم رفع رأسه

وقال لا تيأسا عند النوب من فرجة تجلو

الكرب فلكم سموم هب ثم جرى نسيما وانقلب وسحاب

مكروه تنشا فاضمحل وما سكب ودخان خطب خيف

منه فما استبان له لهب ولطالما طلع الاسى وعلى

نفيثه

نفيثه غرب فاصبر على اذا ما ناب روع فالزمان ابوا

العجب وترج من روح الاله لطائفا لا تحتسب قال

فاستملينا ابياته الغر وواليناالله تعالى الشكر وودعنا

مسرورين ببراه معمورين ببره تفسير ما تضمن هذه المقامة

من الفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية قوله

ذات العويجر يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزين

والبلهنية رغد العيش ومنه قولهم عيش ابله والسمهرية

الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت

به لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل

انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان

الرماح فتنسب اليهما وقوله يفضلها على نقض اى مهزول
على مهزول والجران باطن عنق الجمل وقيل قد تحمل منه
السياط وسمي جران العود الشاعر بقوله خذا حذرا
يا كنتي فانني رايت جران العود قد كان يصلح وذلك انه
كان اتخذ لزوجتيه اللتين تغضبانه سوطا من الجران
ووضعه في الشمس ليجف فانذرهما بجفافه وقرب ضربهما
به وقوله فضرب الله على الاذان اى انامنا ومنه قوله
عز وجل فضربنا على اذانهم في الكهف اى انمناهم وقيل
في تفسيره منعناهم السمع وقوله نكر عنا الصلوات
العجماوين اى غسلنا اكارعنا وهو كناية عن الوضوء
جمع الكراع
والعجماوان

والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار
القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء وقوله
هلمّ اى قل له هلمّ وهي تاتي بمعنى هات ومعناها اقبل وا
صلها ها بمعنى التنبيه ولمّ اى اجمع والافصح ان يوحد لفظها
مع المذكر والمونث والاثنين والجمع وبه نطق القران في قوله
تعالى والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ومن العرب من يقول
للمذكر الواحد هلمّ وللاثنين هلمّا وللجمع هلمّوا وللمونث الواحدة
هلمّي وللاثنين هلمّا وللجمع هلممن وقوله حيّهل اى عجّل
يقال حيّ هل بفلان بتسكين اللام وفتحها وبتنوينها وباثبات
النون معها ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه في عمر

ابن الخطاب عليه اللعنة والعذاب اذا ذكر الصالحون
فحيّ هلا بعمر وفي حيّهل لغات اخر اضربنا عن ذكرها
اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها هذا تفسير الالفاظ
اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية
فابو يحيى كنية ملك الموت عليه السلم وابو عمرة كنية
الجوع ويكنى ايضا ابا مالك ومنه قول الراجز ابو مالك يعتادنا
في الظهاير وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحواري وابو حبيب
الجدي والحنذ وابو سعيف الخل وابو عون الملح وابو جميل
البقل وام القرى السكباج وام جابر الهريسة وام الفرج
الجوذابة وابو زين الخبيص وابو العلا الفالوذج وابو الياس

الجوذابة اللحم المحمص المطبوخ في القدر غير المدفون

الغسول

الغسول والمرجان الطست والابريق وابو السرو البخور

المقامة العشرون حكى الحارث ابن همام قال سمرت ميا
فارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون
ما طعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره فلما آخنا
لها مطايا النشاد وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار توصينا
بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا
نغشاه طرفي النهار وتتهادى فيه طرف الاخبار فبينا
نحن في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتئام اذ وقف
علينا ذو مقول جريّ وجرس جهوريّ فحيا تحية نفاث
في العقد قناص للاسد والنقد ثم قال نظم

ولا ظعن عن الفه وجاره صح

عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الاديب

رأيت في نعمان عمرو اخا باس له حد الحسام القضيب

يقدم في المعرك اقدام من يوقن بالقتل ولا يستريب

فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحيب

ما بارز الاقران الا انثنى عن موقف الطعن برمح

خضيب ولا سما يفتح مستصعبا مستغلق الباب

منيعا مهيب الا ونودي حين يسمو له نصر من الله

وفتح قريب هذا وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب

القشيب يرتشف الخد ويرشفنه وهو لدى

الكل المفدى الحبيب فلم يزل ينزه دهره ما فيه

من بطش

من بطش وعود صليب حتى اصادته الليالي لقا يعافه

من كان منه قريب فقد اعجز الراقي تحليل ما به من الداء

واعيى الطبيب فصارم البيض وصادمنه من بعد ما كان

المجاب المجيب وآض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق

دواهي المشيب وها هو اليوم مسجى فمن يرغب في تكفين

ميت غريب ثم انه اغلق في النحيب وبكا بكا المحب على

الحبيب ولما رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال

يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان

ولا اخبرتكم الا عن عيان ولو كان في عصاي سير ولغنمي

مطر لاستأثرت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف

الدالّ عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من
لا يجد من جناح قال الراوي فطفق القوم يتمارون فيما أُورِد
ويتخافتون فيما يأتون فتوهّمتُ أنّهم على صرفه بحرمانٍ أو
مطالبته ببرهانٍ ففرطت منه أن قال يا يلامع القاع ويرامع
البقاع ما هذا الارتياء الذي أباه الحباء حتى كأنكم كُلّفتم
مشقّةً لا شُقّة أو استُوهبتم بلدةً لا بُردة أو هُززتم
لكسوة البيت لا لتكفين الميت أفٍّ لمن لا تندى صفاته ولا
يرشح حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته وهُراء نشقته
رفّاه كلٌّ منهم بنيله واحتمل طلّه خوف سيله قال الحارث
ابن همام وكان هذا السائل واقفاً خلفي ومحتجباً بظهري

عن طرفي

عن طرفي فلما أرضاه القوم بسَيبهم وحقّ عليّ التأسّي
بهم خلعتُ خاتمي من خنصري ولفتُّ إليه بصري فإذا هو شيخنا
السروجي بلا فرية ولا مرية فأيقنت أنها الكذوبة تكذبها وأحبولة
نصبها إلا أني طويته على غرّه وصنتُ شغاه عن فرّه
بالخاتم وقلت ارضخ لنفقة المأتم فقال واهاً لك فما
أضرم شعلتك وأكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قُدُماً و
يهدل هرولةً قدماً فنزعت إلى عرفان مستدوار
دعوى حيلته فقرعت ظنبوبي وألهبت الهوى حتى إذ
أدركته على غلوة واحتلسته في خلوة فأخذت بمجمع
أردانه وعقلته عن سنن منتدبه وقلت له والله

ما لك مني ملجأ ولا منجا او تريني متنك المسجى فكشف عن سره وبليه

وأشار الى عز مولده فقلت له تالله فما اتعبك بالنهى

واحيلك على اللهى ثم عدت الى اصحابي عود الرشيد الذي لا يكذب

اهله ولا يبرقش قوله فاخبرتهم بالذي رأيت وما وريت

ولا راءيت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذاك الميت

المقامة الحادية والعشرون حدث الحارث

بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري وعرفت قبيلي

من دبيري بان اصغي الى العظات والغي الكلم المحفظات

لأتحلى بمحاسن الأخلاق واتخلى مما يصم بالاخلاق

وما زلت آخذ نفسي بهذا الادب واخمد به جمرة

الغضب

الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا

فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي ابصرت

بها ذات بكرة زمرة اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد

ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه

ويحلون ابن سمعون دونه فلم يكاءدني لاستماع المواعظ

واختبار الواعظ ان اقاسي الاغط واحتمل الضاغط فاستصحبت

اصحاب المطواعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى افضينا الى

ناد جمع الأمير والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفي وسط

هالته وسط اهلته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس

وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور

سمعته يقول وقد افتتنت به العقول يا ابن آدم ما اعزك

بما يغرك واضرك بما يضرك وألهجك بما يطغيك

وألهجك بمن يطريك تغنيا بما يغتنيك وهل ما يعنيك

وتنزع في قوس تعديك وترتدي الحرص الذي يرديك

لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع

ولا بالوعيد ترتدع دأبك ان تنقلب مع الاهواء

وتخبط خبط العشواء وهمك ان تدأب في الاحراث

وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك

ولا تذكر ما بين يديك وتسعى ابدا لغاربك ولا تبالي ألك

ام عليك اتظن ان ستترك سدى وان لا تحاسب غدا

ام تحسب ان الموت يقبل الرشا او يميز بين الاسد و

الرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا

ينفع

ينفع اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى

وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من

ارعوى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى

ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل لعمرك ما تغني

المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من اجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فانه بمخلبه الاشغى يغولك

ونابه ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى

عليه ونابه وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو

ضلة الا هوى من عقابه وحافظ على تقوى الاله

وخوفه لينجو مما يتقي من عقابه ولا تله عن تذكار ذنبك
وابكه بدمع يضاهي الوبل حال مصابه ومثل لعينيك الحمام
ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه وان قصاري مسكن
الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه فواها لعبد ساءه
سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه قال فظل
القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس
تزول والفريضة تحول فلما خشعت الاصوات والتام
الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستفز
وتقضب بالامر الحاضر وجعل يجار اليه من عامله الجائر والامر
صاغ الى خصمه لاهٍ عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه
استنهض

استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشهم واشتد مغريا
بالامير عجبا للواج ان ينال ولاية حتى اذا ما نال
بغيته بغى يسدي ويلحم في المظالم والغا في وردها طورا
وطورا مولغا ما ان يبالي حين يتبع الهوى فيها اصلح دينه
ام اوتغا يا ويحه لو كان يوقن انه ما حالة الا تحول
لما طغى او لو تبين ما ندامة من صغى سمعا الى افك
الوشاة لما صغى فانفذ لمن اضحى الزمام بكفه ونخا
ان الق الرعاية اولغا وارع المرار اذا دعاك لرعيه وذد
الاجاج اذا حماك السيغا واحمل اذاه وان امضك لاذعا
مسه واسأل غرب الدمع منك وافرغا فليضحكنك

ماء مالح قاطع للانعصه
فانه سيزول دولته اراد
لم ظلمك وغضب حقك فلا
تنزعج من ذالك لانه لا دوام
لظلم وغضبه ولانه سيزول
نزه عنك

الدهرُ منه إذا نبا عنه وشبّ لكيده نارَ الوغا ولينزلنّ
به الشماتُ إذا بدا متخلّيًا من شغله متفرّغا ولتأوينّ له إذا
ما خدّه أضحى على ترب الهوان ممرّغا هذا ولسوف يوقفُ موقفًا
فيه يُرى ربُّ الفصاحة ألثغا ويكوننّ أضلَّ ذلّاً من فقع
الفلا ويحاسبنّ على النقيصة والشغا ويؤاخذنّ بما اجتنى
ومن اجتبى ويطالبنّ بما احتسى وعمّا ارتغى ويناقشنّ على
الدقائق مثلما قد كان يفعل بالورى بل أبلغا حتى يعضّ
على ولاية كفّه ويودّ لو لم يبغ منها ما بغى ثم قال أيها
المتوشّح بالولاية المترشّح للرعاية دع الإدلال بدولتك
والاعتداد بصولتك فإنّ الدولة ريحٌ قُلّبٌ والقدرة برقٌ

خُلّبٌ وإنّ أسعدَ الرعاة من سعدت به رعيّتُه وأشقاهم
في الدارين من ساءت رعايته فلا تكُ ممن يذرُ الآخرة ويلغيها
ويحبّ العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعيّة ويؤذيها وإذا تولّى سعى
في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديّان ولا يُهمَل الإنسان
ولا تُلغى الإساءة والإحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تَدين
تُدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل
يتأفّف من الإمرة ويُردف الزفرة بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي
فأشكاه وإلى المشكوّ منه فأشجاه والتفت إلى الواعظ فحباه وعزم عليه
أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورًا والظالم محصورًا وبرز
الواعظ يتهادى بين رفقته ويبتهج بنفاق صفقته فاعتقبته

اخطو متقاصرا واريه لمحا باصرا فلما استشف ما اخفيه فطن

لتقلب وجهي قال خير لبيك من ارشد ثم اقترب مني وانشد

شعر انا الذي تعرفه يا حارث حدث ملوك فكه منافث

بالانطرب المثالث طورا اخو جد وطورا عابث ما غيرتني

بعدك الحوادث ولا التحى عودي خطب كارث ولا فرى نابي

حد فارث بل مخلبي بكل صيد ناشب وكل سرح فيه ذئب

عائث حتى كأني للأنام وارث سامهم وحامهم ويافث قال

الحارث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد قمت

لله ولا قيام عمرو ابن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا أم وقال

اسمع يا ابن أم عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق

بنار

بنار الوعيد وابغ رضا الله فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى

العبيد ثم انه ودع اخدانه وانطلق يسحب اردانه فطلبناه من بعد

بالوري واستشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف قراره

ولا اي الجراد عاره

المقامة الثامنة والعشرون

حدث الحارث بن همام قال اويت في بعض الفترات الى سقي الفرات

فلقيت بها كتابا انبع من بني الفرات واعذب اخلاقا من

الماء الفرات فاطفت بهم لنهدي بهم لا لذهبهم وكاثرتهم

لادبهم لا لادبهم فالبست منهم اضراب القعقاع بن

شور ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم اشركوني

في المرتع والمربع واحلوني محل الانملة من الاصبع

واتخذوني ابن أنسهم وعهد الولاية والعزل وخازن
سرهم في الجد والهزل فاتفقوا ان ندبوني بعض الأوقات
لاستقراء مزارع الرستاقات فاخترنا من الجواري ا
المنشئات جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب وتنساب في الحباب كالحباب ثم
دعوني الى الموافقة واستدعوني للمرافقة فلما توركنا
على المطية الدهماء ووسطنا الولية الماشية على
الماء الفينا شيخا عليه سحق سربال وسب بال
فعافت الجماعة محضره وعنفت من احضره وهمت
بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة
فلما

فلما لج منا استثقال ظله واستبراد طله تعرض للمنافثة فصمت وحلت
بعد ان عطس فما شمت فاخذ ينظر فينا الى حالة البيد وينتظر الفترة
المبقى عليه وجعلنا نخوض في شجون من جد ومجون الى ان اعترض ذكر ا
الكتابتين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قايل ان كتبة الانشاء
انبل الكتاب ومال مايل الى تفضيل الحساب واحتدم الحجاج وامتد اللجاج
حتى لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح فقال الشيخ لقد اكثرتم
يا قوم اللغط واثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندي فارضوا
بنقدي ولا تستفتوا احدا بعدي اعلموا ان صناعة الانشاء
ارفع وصناعة الحساب انفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة

الحسبانات حبلُ حاطبٍ واساطيرُ البلاغاتِ تنسخ لتدرس ودساتيرُ الحسباناتِ تُنسخُ

وتدرسُ والمنشئُ جهينةُ الأخبارِ وحقيبةُ الأسرارِ ونجيُّ العظماءِ وكبيرُ

الندماءِ وقلمهُ لسانُ الدولةِ وفارسُ الجولةِ ولقمانُ الحكمةِ وترجمانُ الهمّةِ

وهو البشيرُ والنذيرُ والشفيعُ والسفيرُ به تُستخلصُ الصياصي و

تُملكُ النواصي ويُقتادُ العاصي ويُستدنى القاصي وصاحبهُ بريءٌ

من التبعاتِ آمنٌ كيدَ السعاةِ مقرَّظٌ بين الجماعاتِ غيرُ معرَّضٍ

لنظمِ الجماعاتِ فلمّا انتهى في الفصلِ الى هذا الفصلِ لحظهُ من لحانِ الفوجِ

انه اذ ادّرعَ حبًّا وبغضًا وارضى واحفظ بعضًا بعضًا فعقّب كلامهُ بأن

قال الا ان صناعةَ الحسابِ موضوعةٌ على التحقيقِ وصناعةُ الانشاءِ

الانشاءِ مبنيّةٌ على التلفيقِ وقلمُ الحاسبِ ضابطٌ وقلمُ المنشئِ خابطٌ وبين

إتاوةِ توظيفِ المعاملاتِ وتلاوةِ طواميرِ السجلاتِ بونٌ لا يدركهُ قياسٌ

ولا يعتورهُ التباسٌ اذ الإتاوةُ تملأُ الأكياسَ والتلاوةُ تفرّغُ الرأسَ

وخراجُ الأوارجِ يغني الناظرَ واستخراجُ المدارجِ يعني الناظرَ ثم ان الحسبةَ

حفظةُ الأموالِ وحملةُ الأثقالِ والنقلةُ الأثباتُ والسفرةُ الثقاتُ

واعلامُ الإنصافِ والشهودُ المقانعُ في الاختلافِ ومنهم المستوفي

الذي هو يدُ السلطانِ وقطبُ الديوانِ وقسطاسُ الأعمالِ والمهيمنُ

على العمّالِ واليه المآبُ في السلمِ والهرجِ وعليه المدارُ في الدخلِ

والخرجِ وبه مناطُ الضرِّ والنفعِ وفي يدهِ رباطُ الاعطاءِ والمنعِ

ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتّصل التغابن الى يوم الحساب
ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد
التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على انّ يراع الانشاء
منفول ويراع الحساب مناول والمحاسب مناقش والمنشي ابو براقش
ولكليهما حمة حين يرقى الى ان يلقى ويرقى ولعاب فيما ينشي حتى
يغشي ويوشي الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال
الحارث بن همام فلما امتع الاسماع بما راق وراع استنسبناه
واستنسب وابى الانتساب ولو وجد منساغا لانساب فحصلت
من لبسه على غمة حتى ادّكرت بعد امّة فقلت والذي سخّر الفلك
الدوّارة

الدوّارة والفلك السيّار انّي لأجد ريح ابي زيد وان كنت اعهده
ذا رواء وأيد فتبسّم ضاحكا من قولي وقال انا هو على استحالة حالي
وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفري فريّه ولا يباري عبقريّه
فحظوا منه الودّ وبذلوا له الوجد فرغب عن الألفة ولم يرغب
في التحفة وقال امّا بعد ان سحقتم حقّي لأجل سحق وكسفتم بالي
لاخلاق سربالي فما اراكم الا بالعين السخينة ولا لكم منّي
الا الصحبة السفينة ثمّ انشد اسمع اخيّ نصيحة من ناصح
ماشاب محض النصح منه بغشّه لا تعجلنّ بقضية مبتوتة
في مدح من لم تبله او خدشه وقف القضيّة فيه حتى تجتلي
وصفيه في حالي رضاه وبطشه وتبين خلّب برقه من صدقه

للشائمين وبله من طشه هناك ان تر ما لبشر فواره كرها وان تر
ما بين فافشه ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه
في حشه واعلم بان التبر في عرق الثرى خاف الى ان يستثار ببحثه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه ومن
الغباوة ان تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه او ان
تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه وكم اخي طمر
بن هيب لفضله ومفوق البردين عيب لفحشه واذا الفتى
لم يغش عارا لم تكن اسماله الا مراقي عرشه ما ان يضر
العضب كون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشه ثم انه
شنوف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا

على ما فرط في ذاته واغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على الا نحتقر
شخصا لرثاثة برده والا نزدري سيفا مخبوءا في غمده
حكى الحارث بن همام قال نبا بي مالف الوطن في شرخ الزمن لخطب
خشيته وخوف غشيته فارقت كاس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت
في سيري وعودا لم تدمها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت
حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسريت اوجاس الروع واستشعرت
ولبست لباس الامن وشعاره ونضرت همي على لذة اجتنيها وحلة
اجتليها فتبرزت يوما الى الحريم لأروض طرفي واجيل في طرفه طرفي فاذا فرسان
متتالون ورجال متتالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب
فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضت اثر النظارة حتى وافينا

باب الامارة وهناك صاحب المعونة متربعاً في دسته ومرتفعاً

بسمته فقال له الشيخ اعز الله الوالي وجعل كعبه العاليه

اني كفلت هذا الغلام فطيماً وربيته يتيماً ثم سلمته يتعلم فلما

مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر ولم اخله يلتوي عليّ ويتقح

حين يرتوي مني ويلتقح فقال له الفتى علام عثرت مني حتى

تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت

حجاب سترك ولا شققت عصا امرك ولا اغببت تلاوة شكرك

فقال له الشيخ واي ذنب اخزى من ريبتك وهل عيب

افحش من عيبتك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت شعري

واسترقته واسترق الشعر عند الشعراء افظع من سرقة البيضاء

والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات

الابكار فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ ام مسخ

ام نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب

ما احدث سوى ان بتر شمل شرحه واغار على ثلثي شرحه

فقال له الوالي انشد ابياتك برمتها ليتضح ما احتازه منها

جملتها فانشد يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة

الاكدار دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غداً بعداً لها

من دار واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدىً لجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى بجلائل الاخطار كم

مزدهى بغرورها حتى بدا متمرداً متجاوز المقدار

لم أظهر الجلد للجنّ واولغت فيه المدى ونزرت لآخذ الثار كلما

نعمل أن تمر مضيعاً فيها سدى من غير ما استظهار واقطع علائق

حبها وطلابها تلق الهداية لأمر ورد وارقب اذا ما سالمت

من كيدها حرب العدى وتوثب الغدر واعلم بأن خطوبها

تفجأ ولو طال المدى ووتت سرى الأقدار فقال له الوالي

ثم ماذا صنع هذا فقال أقدم للوسنى في الجزاء على ابيات السدا

ستة الأجزاء حذف منها جزئين ونقص من أوزانها

وزنين حتى صار الوزن فيها مدنئين ونقص من أوزانها

مدنئين فقال بيّن ما أخذ ومن أين فلذ فقال أرعني وأخل

لتفهيم عنى ذرعك حتى تبين كيف أضلك على وتقلبه قد ار

إليه ثم انشد وانفاسه تتصعد   يا خاطب الدنيا الدنية

إنها شرك الردى   دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا وادا

ظل سحابها لم ينتفع منه صدا غارها ما تنقضي وأسرها لا يفتدى

كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمرّدا قلبت له ظهر المجن وأولغت

فيه المدا فاربا بعمرك أن تمر مضيعاً فيها سدى واقطع علائق

حبها وطلابها تلق الهدى وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب

العدى واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى فالتفت

الوالي إلى الغلام وقال تبّاً لك من خريج مارق وتلميذ سارق

فقال الفتى برئت من الادب وبنيه ولحقت بمن يناويه

وَيُفَوِّضُ مُبَانَّتَهُ إِنْ كَانَتْ أَبَانَهُ ثُمَّ آلَى عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَلْفِتَ

نَظَرِي وَإِنَّمَا اتَّفَقَ تَوَارُدُ الْخَوَاطِرِ كَمَا قَدْ يَقَعُ الْحَافِرُ عَلَى الْحَافِرِ

قَالَ فَكَانَ الْوَالِي جَوَّزَ صِدْقَ زَعْمِهِ فَنَدِمَ عَلَى بَادِرَةِ ذَمِّهِ

وَظَلَّ يُفَكِّرُ فِيمَا يَكْشِفُ لَهُ عَنِ الْحَقَائِقِ وَيُمَيِّزُ بِهِ الْفَائِقَ مِنَ الْمَائِقِ

فَلَمْ يَرَ إِلَّا أَخْذَهُمَا بِالْمُنَاضَلَةِ وَلَزَّهُمَا فِي قَرَنِ الْمُسَاجَلَةِ فَقَالَ

لَهُمَا إِنْ أَرَدْتُمَا افْتِضَاحَ الْعَاطِلِ وَاتِّضَاحَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ

فَتَرَاسَلَا فِي النَّظْمِ وَتَبَارَيَا وَتَجَاوَلَا فِي حَلْبَةِ الْإِجَازَةِ وَتَجَارَيَا

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ فَقَالَا لَهُ

بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَجَوَابٍ مُتَوَارِدٍ قَدْ رَضِينَا بِسَبْرِكَ فَمُرْ بِأَمْرِكَ

فقال

جناس مضارع هو ان تجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما الا بحرف واحد سواء وقع اولا او آخرا او وسطا مثاله قوله احوى وحوى ورقة ورقى وغادر وغدر

١٠٦

فَقَالَ إِنِّي مُولَعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ بِالتَّجْنِيسِ وَأَرَاهُ لَهَا كَالرَّئِيسِ

فَانْظِمَا الْآنَ عَشَرَةَ أَبْيَاتٍ تُلْحِمَانِهَا بِوَشْيِهِ وَتُرَصِّعَانِهَا بِحَلْيِهِ وَ

ضَمِّنَاهَا شَرْحَ حَالِي مَعَ إِلْفٍ لِي بَدِيعِ الصِّفَةِ أَلْمَى الشَّفَةِ مَلِيحِ التَّثَنِّي

كَثِيرِ التَّجَنِّي مُغْرًى بِتَنَاسِي الْعَهْدِ وَإِطَالَةِ الصَّدِّ وَإِخْلَافِ

الْوَعْدِ وَأَنَا لَهُ كَالْعَبْدِ قَالَ فَبَرَزَ الشَّيْخُ مُجَلِّيًا وَتَلَاهُ الْفَتَى مُصَلِّيًا

وَتَجَارَيَا بَيْتًا فَبَيْتًا عَلَى هَذَا النَّسَقِ إِلَى أَنْ كَمُلَ نَظْمُ الْأَبْيَاتِ وَاتَّسَقَ

وَهِيَ وَأَحْوَى حَوَى رِقِّي بِرِقَّةِ لَفْظِهِ وَغَادَرَنِي إِلْفَ ا

السُّهَادِ بِغَدْرِهِ تَصَدَّى لِقَتْلِي بِالصُّدُودِ وَإِنَّنِي لَفِي أَسْرِهِ مُذْ

حَارَ قَلْبِي بِأَسْرِهِ أُصَدِّقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَ ازْوِرَارِهِ وَا

وَأَرْضَى اسْتِمَاعَ الْهُجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِهِ وَأَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ مِنْهُ وَكُلَّمَا أَجَدَّ

عذابي جدّ لي حبّ بره تناسى ذمامي والتناسي مذمة

واكبره عن ان اقوه بكبره واعجب ما فيه التناهي بعجبه

منذ طي الود من بعد نشره له مني المدح الذي طاب نشره ولي

وقد جنى شكل وغيري يجتني ولو كان عدلا ما تجنى

اعتني بدارا الى من اجتلي نور بدره ولولا التشبه نسيب

وشف ثغره واني على تصريف امري وامره

اري المر حلوا في انقياد لامره فلما انشدها

الوالي منزاسلين لهت لذكاهما المتعادلين وقال اشهد

بالله انكما فرقدا سماء وكزندين في وعاء وان هذا الحدث

لينفق مما اتاه الله ويستغني بوجده عمن سواه فتنبا لها

الشيخ